كلية الآداب
قسم علم الاجتماع

محاضرات فى

الانثروبولوجيا الثقافية

إعداد

د.هاله على

كلية الأداب – جامعة جنوب الوادى

2022

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

بيانات الكتاب

الكلية : الآداب

الفرقة : الثانية

التخصص: علم الاجتماع

تاريخ النشر : الفصل الدراسي الأول

للعام الجامعي ٢٠٢٢-٢٠٢٣

أستاذ المقرر : د.هالة على

المحتويات

المحتوى	الصفحة
الفصل الأول : المفهوم وفروع علم الأنثروبولوجيا.....	4
الفصل الثاني : الانثروبولوجيا ودراسة الثقافة.....	32
الفصل الثالث : التغير الثقافي	58
الفصل الرابع : مفاهيم وموضوعات فى علم الانثروبولوجيا الثقافية.....	70
الفصل الخامس : مناهج وأدوات البحث فى الانثروبولوجيا	95
الفصل السادس : الاتجاهات النظرية فى علم الانثروبولوجيا	131
المراجع	155

الفصل الأول

مفهوم وفروع علم الانثروبولوجيا

مقدمة

علم الأنثروبولوجيا يوصف بأنّه علم حديث العهد، ولكن على الرغم من حداثة هذا العلم، فقد مرّ بمراحل متعدّدة أسهمت في نشأته وتطوّره واستكمال عناصره إلى حدّ بعيد، بدءاً من القرن الثامن عشر وحتى الوقت الحاضر.

لقد اتّسعت مجالات البحث والدراسة في هذا العلم الجديد، وتداخلت موضوعاته مع موضوعات بعض العلوم الأخرى ، كما تعدّدت مناهجه النظرية والتطبيقية، تبعاً لتعدّد تخصّصاته ومجالاته، ولا سيّما في المرحلة الأخيرة حيث التغيرات الكبيرة والمتسارعة، التي كان لها آثار واضحة في حياة البشر كأفراد و كمجتمعات .

وبما أنّ الأنثروبولوجيا تهتمّ بدراسة الإنسان، شأنها في ذلك شأن العلوم الإنسانية الأخرى، فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع الإنساني الذي توجد فيه، حيث تعكس بنيته الأساسية والقيم السائدة فيه، وتخدم بالتالي مصالحه في التحسين والتطوير .

مفهوم الأنثروبولوجيا

إن كلمة الأنثروبولوجيا Anthropology ترجع الى كلمة يونانية الأصل مكونه من مقطعين الأول هو Anthropos أى

الانسان والثانى هو Logy العلم أو الدراسة ، وبهذا المعنى فإن الأنثروبولوجيا تشير إلى علم الإنسان، أو المعرفة المنظمة عن الإنسان، وهي تجمع في صيغة واحدة الجوانب البيولوجية والاجتماعية والثقافية للإنسان

ويرى العالم الأمريكي فرانز بواس بأنه علم يدرس الإنسان باعتباره كائناً اجتماعيا حيث يتم دراسة ظواهر الحياة الاجتماعية والإنسانية دون تحديد زماني أو مكاني.

يتضح من ذلك أن موضوع هذا العلم هو الإنسان، فالإنسان هو المحور الأساسي وهو الذي يحدد موضوعات هذا العلم بصرف النظر عن الزمان والمكان.

كان في بدايته يركز على دراسة الإنسان وأصوله منذ أقدم فترات التاريخ بلد وما قبل التاريخ وفي كل بقاع العالم وذلك من خلال الحفريات والآثار.

في البداية اهتم هذا العلم بدراسة المجتمعات البدائية، حيث يرى بعض الأنثروبولوجيين أن ما يميز هذا العلم عن العلوم الأخرى، كعلم الأجتماع والأقتصاد و السياسة والتاريخ وعلم النفس والجغرافيا هو تركيزه على المجتمعات البشرية البدائية. غير أن هذا الرأي لم يعد

مقبولاً في الوقت الراهن حيث شمل المجتمعات غير البدائية، كالقروية والبدو الرحل، والمجتمعات الحيدثة المتحضرة .

تعرّف الأنثروبولوجيا، بأنّها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظلّ ثقافة معيّنة ويقوم بأعمال متعدّدة، ويسلك سلوكاً محدّداً؛ وهو أيضاً العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة .

* تاريخ استخدام مصطلح الأنثروبولوجيا

أن تاريخ استخدام مصطلح الأنثروبولوجيا قد لفت انتباه الكثيرين من العلماء والباحثين للتعرف على هذا العلم وفهم موضوعه ولعل هادون أبرز هؤلاء العلماء ، اذ أرجع تاريخ استخدام هذا الاصطلاح الى الحضارة الاغريقية والحضارة الرومانية فقد لاحظ أن أرسطو قد استخدمه للأشارة الى الشخص الذى يتحدث عن نفسه ومن الواضح أن هذا المعنى يختلف تماما عن المعنى الحديث للاصطلاح وفى عام ١٥٠١ ظهر الاصطلاح انثروبولوجيون كعنوان لكتاب المفكر هندت حيث تكلم فيه عن الخصائص التشريحية لجسم الانسان

وكذلك أورد المفكر كوبيلا ١٥٣٣ هذا الاصطلاح فى كتابة بعنوان

LAnthropologia الذى يدرس فيه الصفات الشخصية الفردية

أن أول مــرة يظهــر فيهــا اصــطلاح (أنثروبولوجيــا) فــى اللغــة الانجليزيــة كــان فــى عــام ١٦٥٥ فــى كتــاب مجهــول المؤلــف يحمــل عنــوان Anthropology Abstracted ويــدور حــول الطبيعــة البشــرية ويتنــاول قســمين أولهمــا خــاص بعلــم الــنفس حيــث ينــاقش فيــه الطبيعــة البشــرية ، وثانيهمــا يخــتص بعلــم التشــريح ومنــذ ذلــك الحــين بــدأ مصــطلح الأنثروبولوجيــا ينتشــر فــى الاســتخدام والأوســاط العلميــة تــدريجيا الــى أن صار له مفهوم واضح ومحدد المعالم خلال القرن التاسع عشر . [١]

لهــذا فــإن الأنثروبولوجيــا هــي أكثــر العلــوم التــي تــدرس الإنســان وأعمالــه شــمولاً علــى الإطــلاق. وهنــاك دلائــل وشــواهد عديــدة علــى هــذا الشــمول؛ فالأنثروبولوجيا تجمــع فــي علــم واحــد بــين نظرتــي كــل مــن العلــوم البيولوجيــة والعلــوم الاجتماعيــة، ثــم إن الأنثروبولوجيــا لا تقتصــر علــى دراســة أي مجموعــة مــن النــاس أو أي حقبــة تاريخيــة. بــل تهــتم بالأشــكال الأولــى للإنســان وســلوكه بدرجــة اهتمامهــا نفســها بالأشــكال المعاصــرة ، وعلــى هــذا فــإن مصــطلح "الأنثروبولوجيــا" مصــطلح شــامل وواســع ؛ إذ يشــمل دراســة الموضــوعات المختلفــة، كــالتطور البيولــوجي والحضــاري للإنسان . [١]

[١] على المكاوى :دراسات فى الانثروبولوجيا الثقافية ، ص١٥

برغم أن الإنسان يدرس من قبل علوم أخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ وعلم التشريح والجغرافيا البشرية والسياسية وعلم الاقتصاد، وعلم الأديان، إلا أن علم الأنثروبولوجيا ينفرد بخصائص منهجية في دراسة الإنسان، يتحدد من خلالها سمات هذا العلم، عن بقية العلوم الأخرى ومن <u>أهم هذه الخصائص</u> ما يلي:

١- علم الأنثروبولوجيا يدرس المجتمع ككل دون التركيز على جانب محدد بذاته. وبذلك فهو يستخدم المنهج الكلي في الدراسة فهو يدرس المجتمع من عقائده، وشعائره، واقتصاده، وسياسته...إلخ.

٢- يستخدم علم الأنثروبولويا المنهج المقارن في دراسة الأنسان فهو أنسب الطرق في دراسة الأنثروبولوجيا. حيث تتم دراسة مقارنة لمجتمعات متعددة في أبنيتها الأجتماعية وثقافاتها حتى يمكن التوصل إلى تعميمات علمية مجردة تحدد وخصائص تلك المجتمعات.

٣- تعتمد الأنثروبولوجيا الثقافية أو الأجتماعية المعاصرة على ما يسمى بالبحث الحقلي (field Research) أو المعانية الميدانية للنموذج المختار للدراسة.

٤- من أهم الخصائص التي تميز الأنثروبولوجيا عن غيرها من العلوم الأنسانية هو اختياره لنوعية معينة من النماذج المجتمعية التي تدرسها. وقد كان النموذج المختار للدراسة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر هو المجتمع الذي يوصف بأنه بدائي (Primitive society) لأنه مجتمع صغير نسبياً ومحدود الكثافة تسهل دراسته دراسة كلية شاملة.

٥- يدرس هذا العلم الأنسان من جانبه الفردي والأجتماعي الثقافي معاً.

أما من حيث موضوع العلم

إن موضوع هذا العلم بحق هو دراسة الإنسان وأعماله ، كل منجزاته المادية والفكرية أى الدراسة الشاملة للإنسان فهى أكثر العلوم التى تدرس الإنسان وأعماله شمولاً وهناك دلائل عديده على هذا الشمول: فالأنثروبولوجيا تجمع فى علم واحد بين نظرتى العلوم البيولوجية والعلوم الاجتماعية . وهناك دلائل وشواهد عديدة على هذا الشمول؛ فالأنثروبولوجيا تجمع في علم واحد بين نظرتي كل من العلوم البيولوجية والعلوم الاجتماعية، فتركز مشكلاتها على سلوك الإنسان العضو في المجتمع.

الا ان الانسان مفهوم واسع للغاية ، وبالتالى يجب تحديد أبعاده حتى يتسنى لنا تمييز اهتمامات علم الأنثروبولوجيا بالانسان ، عن اهتمامات العلوم الطبيعية والاجتماعية

الأخرى التى تدرس الانسان أيضا . وفى النهاية نلاحظ أن الدراسات التى أجراها علماء الأنثروبولوجيا على الانسان أظهرت جوانب لم تظهرها أو تتناولها علوم انسانية أخرى كعلوم الطب والنفس والاقتصاد وغيرها .

ثم إن الأنثروبولوجيا لا تقتصر على دراسة أي مجموعة من الناس أو أي حقبة تاريخية. بل تهتم بالأشكال الأولى للإنسان وسلوكه بدرجة اهتمامها نفسها بالأشكال المعاصرة ؛ إذ يدرس الأنثروبولوجي كلاً من التطورات البنائية للبشرية ونمو الحضارات منذ أقدم الأشكال التي وصلتنا عنها أي سجلات أو بقايا، فضلاً عن الاهتمام بالدراسات المقارنة في سياق اهتمامه بالجماعات والحضارات الإنسانية المعاصرة .

كما تحاول الأنثروبولوجيا كشف وتوصيف المعايير الفيزيقية التي تميز الجنس البشري عن سائر الكائنات الحية الأخرى

على الرغم من أن الانثروبولوجيا يدرس موضوعات عديده فى الوقت الراهن ، وتتفرع عنه عدة فروع علميه ، الا ألأن الملاحظ عموما على بدايه تطور هذا العلم ، ان علماء الانثروبولوجيا الاوائل قد ركزوا على دراسه المجتمعات البدائيه مثل : الهنود والحمر الامريكيين ، وسكان أستراليا الاصليين وشعوب جنوب المحيط الهادى ، والمجتمعات الافريقيه الاستوائيه ...الخ

حيث تعد المجتمعات البدائية من الموضوعات الرئيسية التي تهتم بها بدراسته الأنثروبولوجيا، حيث تدرس مختلف فروع الأنثروبولوجيا العامة كيفية تكيف الإنسان البدائي مع مختلف البيئات الفيزيقية والجغرافية والاجتماعية والثقافية.

ان التركيز على مثل هذه المجتمعات يرجع الى العوامل التالية :

وتجد الاشاره الى أن التركيز على مثل هذة المجتمعات يرجع الى العوامل التاليه :-

١. أهتمام علماء الانثروبولوجيا الاوائل بدراسه اللغات واللهجات والنظم والعادات الغربيه التى تختلف عن لغات ونظم وعادات مجتمعاتهم الاوربيه الاصليه وصار ذلك الاهتمام تقليداً فى الانثروبولوجيا الى حد كبير ، حتى أوائل القرن العشرين ، حينما أتجهت أهتمامات الانثروبولوجيين نحو دراسه المجتمعات الريفيه والحضريه والصناعيه الحديثه فى العالم الغربى اته ، كذلك اهتمت الانثروبولوجيا حينئذ بدراسه الصراع الثقافى cultural conflict والاتصال الثقافى cultural conact

بين الثقافات المختلفه ، مثال ذلك دراسه المهاجرين الى الولايات المتحده الامريكيه وما طرأ على ثقافتهم .

٢. يعتمد علم الانثروبولوجيا على المنهج التكاملى integrativemethod أو ما يسمى بالنظره الشموليه holistic وبالتالى تسعى الدراسات الانثروبولوجيا نحو تحديد جميع عناصر الثقافه والنظم الاجتماعيه فى مجتمع ما وهذا لايتحقق غالبا الا بدراسه المجتمعات البدائيه صغيره الحجم مثل قبائل النوير nure والازاندى azanda بالسودان وهنا يصل الانثروبولوجي الى تشخيص طريقه حياه way of life أبناء القبيله ، من خلال ملاحظه مساكنهم وملابسهم والادوات التى يستخدمونها ونظمهم العائليه والقرابيه والاقتصاداديه والدينيه وكذلك يهتم بدراسه الطقوس الدينيه والمعتقدات السحريه والعادات والتقاليد والفنون السائده علاوه على اهتمامه يتناول النظام السياسى والجماعات التى تتكون منها القبيله والمراكز الاجتماعيه فيها والادوار الاجتماعيه لافرادها وهكذ يستطيع الانثروبولوجي التعرف على طريقه حياه المجتمع الصغير الذى يدرسه ، على حين لو أجري هذة الدراسه على المجتمع الهندى أو المجتمع الفرنسى أو المجتمع المصرى لعجز عن تحديد طريقه الحياه تلك ، ولما توصل الى الصوره الكليه التى يقوده اليها المنهج التكاملى

غيـر انـه بتقـديم بحـوث ودراسـات علمـاء الاجتمـاع والاقتصـاد والقـانون والسياسـه والـدين وغيرهـا ، وتـراكم المعرفـه العلميـه حـول المجتمعـات الكبيـره ، تمكـن الانثروبولـوجين مـن الاسـتفادة بتلـك الدراسات

للوصـول الـى تحديـد عناصـر ثقافـه المجتمـع المتقـدم كبيـر الحجـم وحضارته المعقدة .

٣. لعـب العامـل الايـدولوجى دوره البـارز فـى تركيـز علمـاء الانثروبولوجيـا الاوائـل علـى دراسـه المجتمعـات البدائيـه صـغيره الحجـم حيـث سـعى بعضـهم الـى وضـع مقيـاس يقـيس تطـور المجتمعـات بحيـث تحتـل المجتمعـات الاوربيـه قمتـه (درجـه ١٠٠مـثلا) ، وتشـغل المجتمعـات البدائيـه نقطـه البدايـه (الصـفر مـثلا) ، (الصـفر – المائـه) يمكـن التعـرف علـى المسـتوى أو الدرجـه التـى يشـغلها هـذة المجتمعـات علـى مقيـاس التطـور ولعـل الاتجـاه التطـورى فـى الانثروبولوجيا .

والواقع أن الاراء قد أختلفت فى تحديد أقسام او فروع علم الانثروبولوجيا الا أنه يمكن تقسييم هذا العلم عموما الى قسميين رءيسيين هما الانثروبولوجيا الطبيعيه أو البيولوجيه ، والانثروبولوجيا الاجتماعيه والثقافيه وهذان الفرعين يمثلان الفرعين التقليديين فى الانثروبولوجيا على حين توجد فروع أخرى سنشير اليها لاحقا تمثل الاتجاهات الحديثه فى العالم [٢]

ومع تراكم المعرفة العلمية ، وتعدد الدراسات والبحوث الأنثروبولوجية زاد التراث العلمى حول الانسان وتنوعت مجالاته فهناك دراسات تتعلق بثقافة الانسان وتراثه المعرفى وهناك البحوث التى تدور حول الجانب الجسمى للانسان ، كما أن هناك دراسات حول الانسان فى المجتمعات الحديثة فى حين تناولت بحوث اخرى تنمية المجتمع ...الخ [٣]

ولم تعد الأنثروبولوجيا خاصة بدراسة المجتمعات البدائية- أو بدراسة وحدات اجتماعية محددة ٠ أو ينحصر اهتمامها بالوصف أو المقارنة وحدها بل تجاوزت ذلك إلى ما هو اشمل وأعم فأصبحت اليوم تشمل المدينة والقرية جنبا إلى جنب.

[٢] على المكاوى: الانثروبولوجيا الاجتماعيه ودراسه التغير والبناء الاجتماعى

ثانيا : ما هي فروع (الأنثروبولوجيا)

أدى تجمع الدراسات الأنثروبولوجية فى شكل مجموعات متشابهه بحيث شكلت كل مجموعة فرعا متميزا من فروع العلم ، على سبيل المثال فان الدراسات الانثروبولوجية حول الممارسات والمعتقدات والدين والعادات واللغة قد كونت علم الانثروبولوجيا الثقافية ، وهناك الدراسات التى أجريت على جسم الانسان وتكوينه وملامحه وخصائصة الفيزيقية قد اسهمت فى تأسيس علم الأنثروبولوجيا الطبيعية أو الفيزيقية ومن جانب آخر فإن مجموعة الدراسات التى قام بها علماء الأنثروبولوجيا حول النظم والعلاقات الاجتماعية قد شكلت أسس علم الانثروبولوجيا الاجتماعية . [٤]

ومن هنا فإن هناك ثلاثة فروع رئيسية لعلم الإنسان يمكن التعرف عليها من خلال كيفية أو طريقة النظرة إلى الإنسان هل هو كائن اجتماعي هل هو كائن ثقافي هل هو كائن طبيعي نعم هو كل ما سبق الإنسان كائن اجتماعي فهو لايستطيع العيش دون حياة اجتماعية هذه النظرة أدت إلى ظهور ذلك الإنسان الاجتماعي ٠

والإنسان كائن ثقافي فهو حامل للثقافة وناقل لها عبر الاجيال والثقافة كما عرفها تايلور هي ذلك الكل المركب الذي يتكون من العادات

والتقاليد والأعراف وكل ما اكتسبه الإنسان بوصفة عضوا في المجتمع ساعد ذلك علي ظهور علم الإنسان الثقافي والإنسان أخيرا كائن طبيعي مخلوق من ضمن مخلوقات الله هذه النظرة ساعدت علي ظهور علم الإنسان الطبيعي٠ فعلم الإنسان طبقا لذلك هو الدراسة العلمية للإنسان من الناحية الاجتماعية والثقافية والطبيعية ٠

إلا أن تزايد البحث في علم الإنسان وكان مجاله الأول في المجتمعات البدائية أدى إلى تطورات هامة في النظرة إلى علم الإنسان وخاصة في علاقته بالأنثروبولوجيا والاثنوجرافيا وعلم الآثار واللغويات وغيرها من الدراسات التي تتصل بدراسة الإنسان ٠

(١) الانثروبولوجيا الطبيعية او البيولوجية

الأنثروبولوجيا الحيوية، أو الفيزيقية، أو الطبيعية: وهي فرع قديم ظهر في أواخر القرن الثامن عشر، تحت تأثير الأفكار الداروينية، يهتم بدراسة الإنسان من حيث سماته الجسمية والتشريحية، كشكل الجمجمة وطول القامة، كما يدرس الإنسان في نشأته الأولى، وفي تطوره عن الرئيسيات، وفي كيفية اكتسابه السمات والخصائص السلالية التي تميزه عن غيره من الأجناس والأنواع الحيوانية.

(دراسة الإنسان في مظهره البيولوجي) فهى العلم الذي يبحث في شكل الإنسان من حيث سماته العضوية، والتغيّرات التي تطرأ عليها بفعل المورّثات. كما يبحث في السلالات الإنسانية، من حيث الأنواع البشرية وخصائصها، بمعزل عن ثقافة كلّ منها. وهذا يعني أنّ الأنثروبولوجيا العضوية، تتركّز حول دراسة الإنسان / الفرد بوصفه نتاجاً لعملية عضوية ، ويهتم هذا الفرع بدراسْة تطور الانسان وسلوكه ، فهى دراسة الجانب الطبيعى والفيزيقى فى الانسان ، وهذا الفرع من علم الانسان يهتم بتوضيح أوجه التشابه والاختلاف والتباين واتجاهات التغيير فى الافراد والجماعات فى الماضى والحاضر وتأثير عوامل البيئة الكامنه فى الوراثة ، ويهتم الأنثروبولوجيون الفيزيقيون بالقيام بالبحوث والدراسات التى تلقى الضوء على كثير من المفهومات التى تميز مجالات عديدة داخل هذا الفرع الهام من دراسات علم الانسان ومن أهم هذه المجالات

(الأيكولوجيا البشرية – علم الاجنة والنمو – علم العظام وعلم الاسنان– الرئيسيات – الانثروبولوجيا الفيزيقية التطبيقية) . وعلى هذا الاساس تعتبر الأنثروبولوجيا الطبيعية أو البيولوجية أقرب الى العلوم الطبيعية منها الى العلوم الاجتماعية ، فهى أكثر ارتباطاً بعلوم التشريح وعلم وظائف الاعضاء . ومن ناحية أخرى يمكن القول ان

الانثروبولوجيا الطبيعية إنّما تدرس تلك الخصائص والملامح العامة للبناء الفيزيقي للإنسان، أو ما يسمّى بالبناء العضوي للإنسان.

لذلك تعالج الأنثروبولوجيا الفيزيقية، مثلاً، حجم الجمجمة، وارتفاع القامة، ولون البشرة، ونوع نسيج الشعر، وشكل الأنف، ولون العين، وفصائل الدم، كما تهتم بدراسة التغيرات العنصرية وخصائص الأجناس، وانتقال السمات الفيزيقية ،وتتبع الموروثات الإنسانية وتصنيف الجماعات البشرية الى سلالات وتوزيع الاجناس على المناطق المختلفة على سطح الارض . [٧]

(٢)- الأنثروبولوجيا الاجتماعية

تعريف الانثروبولوجيا الاجتماعيه عموما الدراسه التكامليه المقارنه القائمه على ملاحظه السلوك الانسانى فى مضمونه الاجتماعى فهى دراسه تكميليه لانها تتبنى المنهج الكلى الذى يسعى لادراك الاطار الاجتماعى العام الذى توجد فيه الظاهره ، والاحاطه بالعوامل التى تؤثر فيها وتتاثر بها وهى دراسه مقارنه comparative بمعنى انها تدرس النظام القرابى او الاقتصادى فى مجتمع معين ، ثم نقارن بين هذا النظام ونظيره فى مجتمع اخر ، بقصد الوقوف على مظاهر التشابه وجوانب التباين ، وبالتالى الوصول الى المبادى العامه او القوانين التى تحكم هذة الظاهرة وتتم المقارنه – فى هذا الصدد – بين

مستويات مختلفه من المجتمعات البسيطه والبدائيه والريفيه والحضريه المعقده كما أن الانثروبولوجيا الاجتماعيه دراسه تعتمد على الملاحظه observation لأن الباحث يستمد مادته من الواقع الذى يدرسه بنفسه ويعايشه ويستخدم اللغه السائده مع ابنائه فى التخاطب فاذا كان يجهلها فانه يتعلمهامصطلح يطلق على التراث المهيمن فى الأنثروبولوجيا البريطانية ، تهتم بدراسة المجتمعات البسيطة الصغيرة التي يمكن فيها فهم دراسة العلاقة بين النظم الاجتماعية جميعاً، لذلك يدرس هذا التيار المجتمعات الأولية صغيرة الحجم ذات النسيج الاجتماعي المحدود والمتكامل، والذي يمتاز ببساطة الفنون والآلية الاقتصادية وقلة التخصص في الوظائف الاجتماعية، وقد ساد هذا الاتجاه في إنجلترا بشكل خاص.

وذلك وفقاً لتأكيد العلماء البريطانيين على مفاهيم مثل : المجتمع ، والبناء الاجتماعى والتنظيم الاجتماعى ولا شك أن هذه السيطرة لما هو اجتماعى ترتبط بمفكرى النظرية البنائية الوظيفية أمثال راد كليف براون وفورتس اللذان اعتمدا هما وغيرهما من علماء علماء الانثروبولوجيا .[٨]

و يتعامل هذا الفرع مع الانسان باعتبار أنه عضو فى جماعة إنسانية ، وأنه اجتماعى بطبعه لا يستطيع أن يعيش منعزلا عن

الآخـرين الا فـى حـالات المـرض النفسـى الخطيـر والمـرض العقلـى ويوصـف علـم الأنثروبولوجيـا الاجتماعيـة بأنّـه علـم حـديث العهـد، لا بـل مـن أكثـر العلـوم الاجتماعيـة حداثـة. إن أقـرب العلـوم الاجتماعيـة إلـى الأنثروبولوجيـا هـو علـم الاجتمـاع فكـل منهمـا يـدرس المجتمـع كلـه ولـيس جانبـا واحـداً منـه مثـل الاقتصـاد او السياسـة وان كـان علـم الاجتمـاع أقـدم كثيراً من الأنثروبولوجيا الاجتماعية

أول مـن اسـتعمل كلمـة الانثروبولوجيـا الاجتماعيـة (جـيمس فريـزر سـنة ١٩٠٨ فـي محاضـرة تحـت عنـوان : مجـال الانثروبولوجيـا الاجتماعيـة، وعرفهـا بأنهـا " محاولـة الكشـف عـن تسـمية القـوانين العامـة التـي تحكـم الظـاهرات وتفسـر ماضـي مجتمعـات الإنسـان حتـى نـتمكن بفضـلها مـن أن نتنبـأ بمسـتقبل البشـرية اسـتنادا إلـى تلـك القـوانين العامـة التـي تـنظم تاريخ الإنسان"

كـان السـير جـيمس فريـزر يأخـذ بقضـية مسـلم بهـا[٣] هـى أن كـل المجتمعات مرت بثلاث مراحل للتطور هى السحر والدين والعلم

وتنـاول فريـزر الأعمـال السـحرية للمجتمـع البـدائي وذكـر أن العقليـة قـد مـرت فـى الـثلاث المراحـل السـابقة ، حيـث يسـتند الـدين مـن وجهـة نظـره

[٣] انظر حسين عبد الحميد رشوان الأنثروبولوجيا فى المجالين النظرى والتطبيقى ، المكتب الجامعى الحديث ، الاسكندرية.

الى قوى روحية والى ما فوق الطبعية . أما السحر والعلم فيقومان على قوانين الطبيعة

وقد رفض الأنثروبولوجيون المحدثون وجهة نظر فريزر ولعب السحر دورا هاما فى حياة التروبريانديين فهو ضرورى للزراعة ولحماية الأطفال وكذلك فى حالات المرض والصحة فمثلا يعتقد الأهالى أن المرض والصحة والوفاة تنتج من السحر

ويذكر أن مالينوفسكي أن الرؤساء يستفيدون من قوة السحر للتغلب على أعدائهم فعندما يشك حاكم القرية فى وجود مؤمرات ضده فأنه يسلط عليهم السحرة للانتقام منهم

وقد قام إيفانز بريتشارد بدراسة قبائل الأزاندى جنوب السودان عامى ١٩٢٦- ١٩٣٦ وبين حقيقة مؤداها أن الأزاندى لديهم قدر هائل من المعرفة السحرية .

وهم يعتقدون أن أى مصيبة أو كارثة تصيب الفرد أو المجتمع تعزى إلى السحر واذا ما توفى فرد فان أقارب الميت يأخذون هذا العمل السحرى الى الرئيس للاخذ بالثأر او يقومون بعمل سحرى مضاد لتحطيم سحر الساحر الأول .

وتعـرّف الأنثروبولوجيـا الاجتماعيـة بأنّهـا : دراسـة السـلوك الاجتمـاعي الـذي يتّخـذ فـي العـادة شـكل نظـم اجتماعيـة كالعائلـة ، ونسـق القرابـة ، والتنظـيم السياسـي، والإجـراءات القانونيـة، والعبـادات الدينيـة، وغيرهـا . فهـى دراسـة مجمـوع البنـاء الاجتمـاعى لأى جماعـة أو مجتمـع ، بمـا يحويه هذا البناء من علاقات وجماعات وتنظيمات .

أمـا رادكليـف بـراون فيقـول " يمكننـا أن نعـرف الانثروبولوجيـا الاجتماعيـة بأنهـا دراسـة طبيعـة المجتمـع الإنسـاني دراسـة منهجيـة منظمـة تعتمـد علـى مقارنـة الأشـكال المختلفـة للمجتمعـات الإنسـانية بـالتركيز علـى الأشـكال الأوليـة للمجتمـع البـدائي"

(٣)- الأنثروبولوجيا الثقافية

يـدرس الانسـان باعتبـاره كـائن ثقـافى حامـل للثقافـة ويعـيش فـى كنفهـا ويحـافظ عليهـا كمـا أنـه ناقـل لهـا عبـر الأجيـال المختلفـة هـي ذلـك العلـم الـذي يهـتمّ بدراسـة الثقافـة الإنسـانية، ويعنـى بدراسـة أسـاليب حيـاة الإنسـان وسـلوكياته النابعـة مـن ثقافتـه. وهـي تـدرس الشـعوب القديمـة، كمـا تـدرس الشـعوب المعاصـرة فالأنثروبولوجيـا الثقافيـة إذن، تهـدف إلـى فهـم الظـاهرة الثقافيـة وتحديـد عناصـرها. كمـا تهـدف إلـى دراسـة عمليـات

التغيير الثقافي والتمازج الثقافي، وتحديد الخصائص المتشابهة بين الثقافات ، وتفسّر بالتالي المراحل التطوّرية لثقافة معيّنة في مجتمع معيّن . والثقافة ذلك الكل المركب الذى يتكون من العرف والتقاليد والمعتقدات والقيم والممارسات ، وكل ما أوجده الأنسان من اختراعات وابتكارات الى غير ذلك ، ويمكن تميز جانبين هامين فى الثقافة هما الجانب المعنوى اللامادى والجانب الآخر وهو الجانب المادى الذى يشمل كل مخترعات الإنسان فى الناحية المادية من الحياة .

[1]

ثالثا : فروع الأنثروبولوجيا الثقافية

لم تظهر الأنثروبولوجيا الثقافية كفرع مستقلّ عن الأنثروبولوجيا العامة، إلاّ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وربّما يعود الفضل في ذلك إلى العالم الإنجليزي / إدوارد تايلور / الذي يعدّ من روّاد الأنثروبولوجيا، والذي قدّم أول تعريف شامل للثقافة عام ١٨٧١ في كتابه الثقافة البدائية (هي ذلك الكلّ المركّب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد، والفن والأخلاق والقانون، والعادات وغيرها من القدرات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع) . وقد مرّت الأنثروبولوجيا الثقافية بمراحل متعدّدة ، منذ ذلك الحين حتى وصلت إلى ما هي عليه في العصر الحاضر. ومن الممكن أن تكون الدراسة فى الأنثرووبوجيا الثقافية ذات جانبين :

- **أولهما: هو الدراسة المتزامنة أو الآنية أى دراسة الثقافة فى نقطة معينة من تاريخها .**
- **وثانى الجانبين : هو الدراسة التتبعية أو التاريخية بمعنى دراسة الثقافة عبر التاريخ وهذا ما يمثل الاتجاه التطورى فى دراسة الثقافة**

وتعد الأنثروبولوجيا الثقافية التراث المسيطر فى الأنثروبولوجيا فى الولايات المتحدة ، حيث تشمل كلا من" علم آثار وعلم اللغة الأنثروبولوجى ، بالاضافة الى الدراسة المقارنة للثقافات والمجتمعات الإنسانية [١] [٢]

١- الاثنولوجيا والاثنوجرافيا :

<u>الاثنوجرافيا</u> : وتعني الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى جماعة أو مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة.

<u>الإثنولوجيا</u> : وتهتم بالدراسة التحليلية والمقارنة للمادة الإثنوجرافية، بهدف الوصول إلى تصورات نظرية وتعميمات بصدد مختلف النظم الاجتماعية الإنسانية.

حيث تعنى الأثنولوجيا بأنها الدراسة التحليلية والمقارنة للسلالات والشعوب، فالأثنولوجى يدرس ثقافة المجتمع ، حيث يطلق اصطلاح اثنولوجيا على الدراسات التى تجمع بين وصف الثقافة والمقارنة بينها وبين غيرها من الثقافات فهى(التحليل المقارن والتاريخى للثقافات). وهى علم يختص بدراسة ثقافة المجتمعات الموجودة وقت الدراسة وكذلك الحضارات التى انقرضت بشرط أن تتوافر عنها سجلات مكتوبة وشواهد حية تلقى الضوء على هذه الحضارات ، ولذلك يستهدف الاثنولوجى الوصول الى قوانين عامة للعادات الانسانية والتغير الثقافى وآثار الاتصال الثقافى بين الحضارات والثقافات المختلفة [٤] [١]

*اما اصطلاح اثنوجرافيا : تقتصر الاثنوجرافيا في دراساتها على الناحية الوصفية للحضارات دون تقديم تفسير أو تحليل لها أي دون التعليق عليها وتتصف الإثنوجرافيا التى تمثل فرعاً من البحث الأنثروبولوجى بالدراسة المباشرة للمجتمعات الصغيرة أو الجماعات. حيث لا يتم البحث الاثنوجرافي إلا على المجتمعات المحلية صغيرة الحجم غالبا.

وتستفيد الاثنولوجيا عملياً من البيانات التي تزودها بها الاثنوجرافيا، ليقوم الباحث الاثنولوجي بعد ذلك بتصنيف الحضارات في مجموعات أو

أشكال، حيث يهدف الاثنولوجي إلى الوصول إلى قوانين عامة للعادات الإنسانية ولظاهرة التغير الحضاري، وآثار الاتصال بين الحضارات المختلفة [١].

واخيرا فإن هناك فرقاً واضحاً بين الاثنوجرافيا والاثنولوجيا ، فالإثنوجرافيا هى الدراسة التسجيلية للشعوب دون تحليل لهذه الثقافات أو عقد المقارنة بينها وبين الشعوب الأخرى ، بينما الأثنولوجيا تهدف الى عقد المقارنة بين الثقافات حتى نستطيع التوصل إلى ما نسمية بالعموميات أو إلى قوانين عامة تحكم السلوك الإنسانى .

٦

٢- علم الآثار

اما عن علم الآثار Archaeology فهذا العلم يهتم بكيفية نمو الثقافات وكيفية تغيرها عبر الزمن وتتكون من مقطعين Archaeo يعنى قديم بائد منقرض Logy بمعنى علم ، ولذا فهو يعنى علم دراسة الماديات القديمة يهتم علم الآثار بدراسة وتحديد وتتابع التغير الحضارى والثقافى على مر العصور ، يدرس الفترات التاريخية في حياة المجتمعات والثقافات بالاعتماد على وثائق قديمة والشواهد من المواقع الأثرية كالمدن القديمة والبنايات، وإعادة رسم صورة ثقافات ما قبل التاريخ فعالم الآثار يعتمد في دراسته على البقايا التي خلفها الإنسان القديم، والتي تمثّل طبيعة ثقافاته وعناصرها ، فقد يعثر عالم الآثار على

بعض الأدوات والأوانى المدفونة تحت الأرض ، وقد يعثر على بعض الرسوم والنقوش الحجرية والفخار والبيوت وبقايا المعابد وبالتالى يستطيع وصف جانب من الثقافة القديمة . ويبحث هذا الفرع من[٧] علم الأنثروبولوجيا الثقافية، في الأصول الأولى للثقافات الإنسانية، ولا سيّما الثقافات المنقرضة. ولعلّ علم الآثار القديمة أكثر شيوعاً بين فروع الأنثروبولوجيا، أنّ الهدف النهائي يتمثّل في تفهّم العمليات المتّصلة بنمو الثقافات أو (الحضارات) وازدهارها أو انهيارها، وبالتالي إدراك العوامل المسؤولة عن تلك التغيّرات.

وقد توصّل علماء الآثار إلى أساليب دقيقة لحفر طبقات الأرض التي يتوقّع وجود بقايا حضارية فيها. كما توصّلوا إلى مناهج دقيقة لفحص تلك البقايا وتحديد مواقعها، وتصنيفها من أجل التعرّف إليها، ومن ثمّ مقارنتها بعضها مع بعض. ويستطيع علماء الآثار باستخدام تلك المناهج، استخلاص كثير من المعلومات عن الثقافات القديمة، وتغيّراتها، وعلاقة كل منها بغيرها.

٣- علم اللغويات :

علم اللغويات : يبحث في تحليل اللغات وتصنيفها تركيب اللغات الإنسانية، المنقرضة والحيّة، ولا سيّما المكتوبة منها في السجلاّت التاريخية فحسب، كاللاتينية أو اليونانية القديمة، واللغات الحيّة

المستخدمة كالعربية والفرنسية والإنجليزية. . ويهتمّ دارسوا اللغات بالرموز اللغوية المستعملة، إلى جانب العلاقة القائمة بين لغة شعب ما، والجوانب الأخرى من ثقافته، باعتبار اللغة وعاء ناقلاً للثقافة.

إنّ اللغة من الصفات التي يتميّز بها الكائن الإنساني عن غيره من الكائنات الحيّة الأخرى، فهي طريقة التخاطب والتفاهم بين الأفراد والشعوب، بواسطة رموز صوتية وأشكال كلامية متّفق عليها، ويمكن تعلّمها .. علاوة على أنّها وسيلة لنقل التراث الثقافي / الحضاري، حيث يمكن استخدام معظم اللغات في كتابة هذا التراث .

كما يهتم الأنثروبولوجى بدراسة اللهجات المحلية وعلاقتها باللغة الأم، ومدى تأثيرها على هذه اللغة، ومصادر هذه اللهجات، وهل ما إذا كانت ترجع إلى لغات انقرضت ، كما هو الحال فى بعض لهجاتنا المحلية التى تحتوى على بعض الكلمات من اللغة المصرية القديمة فيحاول الأنثروبولوجى اللغوى إلقاء الضوء عليها كما يدرس تأثير الحروب فى إنتشار بعض اللغات وأثر التبادل الاقتصادى والثقافى على اللغة والى غير ذلك من الموضوعات التى تهم المتخصص فى مجال علم الانسان اللغوى

١ ٨

يحتلّ علم اللغة مكاناً ممتازاً في مجمل العلوم الاجتماعية التي ينتمي إليها فهو ليس علماً اجتماعياً كالعلوم الأخرى .. يدرس علماء

الأنثروبولوجيا، اللغة في سياقها الاجتماعي والثقافي، في المكان والزمان كذلك دراسة الاختلافات اللغوية في سياقها الاجتماعي، وهو ما يدعى (علم اللغة الاجتماعي) الذي يدرس الاختلاف الموجود في لغة واحدة، ليظهر كيف يعكس الكلام الفروق الاجتماعية .

يستطيع علم اللغة أن يقدّم البراهين المساعدة في دراسة مسائل القرابة من خلال تقديم أصول الكلمات وما ينتج عنها من علاقات في بعض ألفاظ القرابة

يعطي / ليفي ستروس / أهميّة بالغة لِلُّغَةِ ويعتبرها أحد الأركان الأساسية في علم الإنسان، إن لم تكن حجر الزاوية في ذلك العلم، وعلى أساس أنّ اللغة هي الخاصية الرئيسة التي تميّز الإنسان عن الكائنات الحيّة الأخرى ولذلك، يعتبرها الظاهرة الثقافية الأساسية التي يمكن عن طريقها، فهم كلّ صور الحياة الاجتماعية .

ولهذا يقسم علم اللغويات إلى أقسام فرعيّة، من أهمّها : علم اللغات الوصفي، وعلم أصول اللغات .

(أ)علم اللغات الوصفي : يهتمّ بتحليل اللغات في زمن محدّد، ويدرس النظم الصوتية، وقواعد اللغة والمفردات . ويعتمد عالم اللغات في دراساته هنا على اللغة الكلامية ، ولذلك يستمع إلى الأفراد ، ولا سيّما إذا كانت الدراسة متعلّقة بلغات لم تكتب. فيقوم عالم اللغة بكتابة تلك

اللغات عن طريق استخدام الرموز المتعارف عليها .، وتتركّز معظم تلك الدراسات في المجتمعات البدائية التي تستخدم اللغة الكلامية،(اى لغة غير مكتوبة) ولم تعرف القراءة والكتابة. فلا يوجد مجتمع إنساني – مهما تخلّفت ثقافته – من دون لغة كلامية يتفاهم بها أبناؤه .

٩

(ب)علم أصول اللغات : يهدف إلى تحديد أصول اللغات الإنسانية. ولذلك يختصّ بالجانب التاريخي والمقارن، حيث يدرس العلاقات التاريخيّة بين اللغات التي يمكن متابعة تاريخها، عن طريق وثائق مكتوبة. وتكون المشكلة أكثر تعقيداً بالنسبة للغات القديمة التي لم تترك أية وثائق مكتوبة تدلّ عليها . وذلك لأنهّ على كلّ من الأثنولوجي والأنثروبولوجي الاجتماعي، أن يدرس لغة المجتمع الذي يجري بحثه عليه .

الفصل الثانى

الانثروبولوجيا ودراسة الثقافة

مفهوم الثقافة

الثقافة من الناحية الاصطلاحية من أوسع الدراسات التي ركز عليه الباحثون الأنثروبولوجيون وغيرهم من الدارسين. ومن أشهر من بحث مفهوم الثقافة من الناحية الأنثروبولوجية هما الباحثان الامريكيان (الفريد كرويبر A. Krober – كلايد كلوكهون C. Kluckhohn) تمكنا هذا الباحثان من استعراض أكثر من ١٦٠ تعريفاً للثقافة وتوصلا إلى أن الثقافة ذات مضمون تاريخي (Historical Meaning). أي أنها تراكماً لعديد من الأنماط والمركبات الثقافية التي تراكمت عبر التاريخ طويل، وهي بالتالي تشتمل على ما يلي :

١- الأنماط السلوكية والأفكار والقيم.

٢- لها صفة الأختيار والانتقاء (يختار الثقافة ويطورها، الحيوان يرث سلوكه تلقائياً).

٣- و مكتسبة ومتعلمة.

٤- هي تجريد للسلوك الأنساني، وإن لم تكن هي السلوك نفسه، بل هي نتيجة لهذا السلوك .

ونظراً للأعداد الكبيرة من التعريفات لمفهوم الثقافة، نستعرض أشهرها:

تعنى الثقافة كل ما هو موجود فى المجتمع الإنساني، ويتم توارثه

اجتماعياً وليس بيولوجيا، بينما يميل الاستخدام الشائع للثقافة إلى الإشارة إلى الفنون والآداب فقط ، فالثقافة إذن مصطلح عام يدل على الجوانب الرمزية والمكتسبة فى المجتمع الإنساني . فهى كل ما يقوم به المرء من أعمال وكل ما يؤمن به من اعتقادات وأفكار وكل ما تراكم لدى الانسان من عادات وأعراف وتقاليد وعلوم ومعارف وقوانين.

تعريف أدوارد تايلور في كتابه "الثقافة

بأنها: وتعتمد أفكار الأنثروبولوجيا عن الثقافة اعتماداُ كبيراً على التعريف الذي قدمه إدوارد تايلور عام ١٨٧١ ، الذي يشير فيه إلى الكيان المركب والذي ينتقل اجتماعياُ ويتكون من المعرفة، والمعتقدات، والفنون، والأخلاق، والقانون، والقدرات والعادات التي يكتسبها الفرد كونه عضواً في المجتمع [١] [٢]

وتدلّ الثقافة على مجموعة من السمات التي تميّز أيّ مجتمع عن غيره، منها: الفنون، والموسيقى التي تشتهر بها، والدين، والأعراف، والعادات والتقاليد السائدة، والقيم، وغيرها .

الثقافة تتضمن في معظم تعريفاتها التطبيقية أنماط وأساليب الحياة العامة في أي زمان أو مكان تتضمن بصفة خاصة الأنماط السلوكية لكل مجموعة من المجموعات البشرية المتشابكة والمتداخلة قلّ عددها

أو أكثر وأن الثقافة ما هي إلا تجريد مستمد من السلوك الأنساني الملاحظ حسياً برغم أنها هي ليست نفس هذا السلوك.

تعتبر الثقافة أسلوب حياة بالنسبة للفرد في مختلف المجتمعات ، ولها أهمية مهمة في العلوم الاجتماعية حيث إن الإنسان لا يستطيع العيش في أي مجتمع من المجتمعات إلا إذا استطاع أن يفهم الأنماط الثقافية لهذا المجتمع ويتعايش معها ويصبح وكأنه فرد من هذا المجتمع .

يدرس الأنثروبولوجي سلوك الأفراد ليستنتج منها أنماط الثقافة، وهو بذلك يدرس هؤلاء الأفراد كأعضاء في جماعة معينة وليس بصفتهم الفردية أو الشخصية والنظم الثقافية تختلف في مدى شموليتها فهناك نظم شاملة تطبق على الجميع. وهذا ما يمكن أن يسمى بالشمول الكلي. وهناك نظم تطبق على جماعة معينة داخل المجتمع الواحد ولا يطبق على الجماعات الأخرى. وهذا ما يمكن أنسميه بالشمول الجزئي أو الخاص.

وتعنى الثقافة كل ما هو موجود فى المجتمع الإنساني، ويتم توارثه اجتماعياً وليس بيولوجيا، بينما يميل الاستخدام الشائع للثقافة إلى الإشارة إلى الفنون والآداب فقط ، فالثقافة إذن مصطلح عام يدل على الجوانب الرمزية والمكتسبة فى المجتمع الإنساني . فهى كل ما يقوم به المرء

من أعمال وكل ما يؤمن به من اعتقادات وأفكار وكل ما تراكم لدى الانسان من عادات وأعراف وتقاليد وعلوم ومعارف وقوانين.

ويعرف رادكليف براون الثقافة بأنها عملية نقل الأساليب المكتسبة للتفكير والمشاعر وأساليب التصرف في إطار جماعه اجتماعيه، من شخص لآخر ومن جيل لآخر ، وهو ما يؤكد على كون الثقافة شبكة مركبة من الأنماط والسلوكيات التي تكتسب بالتعلم . ويعد المفهوم الأنثروبولوجى للثقافة هو الأكثر شمولاً ويعرف الثقافة على أنها حصيلة كل النشاط البشرى الاجتماعي في مجتمع معين ، ويستتبع هذا أن لكل مجتمع ثقافته الخاصة المميزة بصرف النظر عن تقدم ذلك المجتمع أو تأخره حيث إن لكل ثقافة نسقها الخاص من القيم والمعايير .

- <u>الثقافة الفرعية</u>

ويستخدم مصطلح الثقافة الفرعية للإشارة إلى ثقافات الأقليات داخل ثقافة أكبر مسيطرة ، وتميز الثقافات الفرعية مجموعة من الناس يتشاركون خصائص وصفات ومعتقدات وقيم وتقاليد مميزة تنأى بهم عن الثقافة السائدة داخل مجتمعاتهم ، وتظهر الثقافة الفرعية من خلال بعض التقاليد الخاصة بمجموعة معينة لتمييز فئة ذات الأعراق المشتركة أو الدين أو السن أو الإقليم المشترك عن غيرها من الفئات .

ثانيا : عناصر الثقافة

حاول بعض العلماء تحليل الثقافة إلى عناصر ومضامين بنائية ، وكان أول تصنيف عناصر الثقافة إلى عنصرين متمايزين الثقافة المادية والثقافة اللامادية، ويرجع التمييز بين الجانبين المادي واللامادي للثقافة إلى الأهمية الوظيفية لكل منهما في المجتمع .

١ – الثقافة المادية

تعتبر الماديات إحدى الجوانب الهامة من مكونات الثقافة، وتتكون هذه الماديات من سائر الأشياء المادية التي يملكها ويستخدمها أفراد مجتمع ما، وتشمل هذه الجوانب المادية على سبيل المثال لا الحصر المساكن والآلات والملابس ووسائل المواصلات ، السيارات، القطارات، الآلات، الأدوية.... وغيرها من الأدوات وتنتج هذه المجموعة الكبيرة كما يقول سروكين من التفاعل الثقافي . ولا شك أن هذه الماديات جميعها من نتاج الإنسان ، ويمكن أن تعتمد دراسة الثقافة اللامادية في جانب كبير منها على معرفتنا للثقافة المادية ، فمن اليسير أن نتعلم الكثير عن أساليب حياة الناس من خلال تحليل ثقافتهم المادية .

٢ – الثقافة اللامادية

تعتبر اللامادية من أهم مكونات الثقافة بل والجزء الأساسي منها ، وتؤكد الدراسات الأنثروبولوجية على أهمية المتغيرات الثقافية التي تمارس تأثيرها على شخصية الأفراد ، ومنها (اللغة، وهي أداة الثقافة ،الفنون والآداب والعلوم وسائر أنواع المعارف التي ينتجها الإنسان، الاتجاهات، العادات- التقاليد، المعايير الاجتماعية، القيم الاجتماعية الدين، المعتقدات الشعبية).

والنظرة الشاملة للثقافة تقتضي منا ألا نفهم أن هذه العناصر، مادية وغير مادية، تعيش بمعزل عن بعضها. فعناصر الثقافة هي عناصر متفاعلة ومتشابكة. فالثقافة كل واحد مركب.

والانثروبولوجي يتخذ من عناصر الثقافة مجالاً لاهتمامه، ويقوم بملاحظة اشكال السلوك، وتحليل مضمون ذلك السلوك، وربطه بغيره من عناصر الثقافة، وغير ذلك من الموضوعات التي يهتم بها الانثروبولوجي ، كدراسات التغير الثقافي، والاتصال الثقافي، كما ظهرت أهمية البعد الثقافي وفهمه عند تناول مشكلات المجتمعات، فمعظمها مشكلات ثقافية في المقام الاول .

- كذلك إن محتوى الثقافة في أي مجتمع متجانس يكاد ينقسم إلي ثلاثة أقسام رئيسية حسب رأي لنتون حيث يمكن تقسيم النظم

الثقافية على أساس مدى شمولها الى ثلاثة أنواع وهى تبعا للفرد والجماعة والمجتمع وهى (العموميات –الخصوصيات – المتغيرات)

أ- عموميات ثقافية

مجموعة السمات الثقافية العامة السائدة فى المجتمع ككل ، مثل وحدة المشاعر والتقاليد ، والشعائر والمعتقدات الدينية واللغة والملبس والعادات والتقاليد والقيم ، وتعتبر الأسس الجوهرية فى تكوين المجتمع الذى يتمسك بها ويحرص عليها ، ومن ثم تكون عاملاً من عوامل التجانس والتكامل والتماسك الاجتماعى [٢]

وتمثل الملامح العامة التي تتميز بها الشخصية القومية لكل مجتمع مثل فهي العناصر الثقافية التي يشترك فيها عموماً أبناء المجتمع مثل " الدين ومصطلحات اللغة العادات و التقاليد و الأفكار وأنماط السلوك و الزي والتحية القيم و العلوم، وكذلك المنتجات الصناعية والمادية الشائع استعمالها في المجتمع ومثال ذلك (السكن وطريقة الملبس وطريقة الزواج) .

أهمية العموميات الثقافية وظائفها

- **تحقيق وحدة التكامل بين أفراد المجتمع .**
- **إيجاد الميول و الاهتمامات المشتركة بينهم**

- تكوين الطابع القومي لأبناء المجتمع الذي يميزهم عن المجتمعات الأخرى.
- تدعيم الكيان الاجتماعي والمساعدة في تماسكه.

ب- الخصوصيات الثقافية: وهي عناصر الثقافة التي يشترك فيها مجموعة معينة من أفراد المجتمع بمعنى أنها العناصر التي تحكم سلوك أفراد معينين دون غيرهم في المجتمع فهي العادات والتقاليد والأدوار المختلفة ، وهي كذلك العناصر الثقافية التي تستلزم لممارستها خبرات ومهارات فنية ومصطلحات سلوكية خاصة دون اعتبار لأصحاب هذه المهارات من الأفراد فهي ليست وقفا على أحد مثل (الزي مهنة الطب والمحاماة والقضاء ولغة الصيادين)، أي أن الخصوصية تفرضها طبيعة المهنة، وتتميز هذه الخصوصية بان تسمح لأفراد المجتمع دخولها أي ليست حكرا على فرد دون غيره عكس الخصوصية الطبقية التي تحكمها هذه الخصوصيات وليست الصفة المهنية ، ويجب ألا ننسى أن الخصوصيات لا تنفى اشتراك أفراد الطبقة أو المهنة عن كل أفراد المجتمع في العموميات .

ج- البدائل أو المتغيرات:

وهي من العناصر الثقافية التي تنتمي إلي العموميات فلا تكون مشتركة بين جميع الأفراد ولا تنتمي إلي الخصوصيات فلا تكون مشتركة بين أفراد مهنة واحدة أو طبقة اجتماعية واحدة ولكنها عناصر تظهر حديثة وتجرب لأول مرة في ثقافة المجتمع وبذلك يمكن الاختيار من بينها :

مثال ذلك ظهور موضة جديدة في الملبس لم تكن معروفة من قبل أو ظهور طريقة لإعداد الطعام ولم يعرفه الناس من قبل ، وهي أكثر جوانب الثقافة عرضة للتغيير فقد تزول إذا لم يقبلها المجتمع وقد تنتقل إلى الخصوصيات أو إلى العموميات بحسب أهميتها في تحقيق وظائف هامة للمجتمع، أي أنها لا ترتبط بثقافة معينة وتنتقل إلى ثقافة أخرى عن طريق التفاعل أو الغزو أو وسائل الإعلام، ولا يعني كثرة المتغيرات والبدائل الثقافية في المجتمع دليلا على انفتاح هذا المجتمع على الثقافات الأخرى فقد تكون ثقافة المجتمع ضعيفة إلى حد أنها لا تستطيع مقاومة الغزو الثقافي، وكذلك العكس قلة البدائل ليست دليلا على قوة ثقافة المجتمع فقد يكون مجتمعا مغلقا.

<u>ثالثا :السمات العامة للثقافة</u>

وتتسم الثقافة بمجموعه من الخصائص بحسب مفهومها وطبيعتها ، فإذا كانت الثقافة هي البيئة التي صنعها الإنسان بما فيها المنتجات

المادية وغير المادية التي تنتقل من جيل إلى آخر فهي بذلك تتضمن الأنماط الظاهرة والباطنة للسلوك المكتسب عن طريق الرموز، والذي يتكون فى مجتمع معين من علوم ومعتقدات وفنون وقيم ، وقوانين وعادات وغير ذلك فهي عملية متجددة دائما لا تنتهي أبدا . ومن أبرز خصائص الثقافة أنّها:

١. الثقافه ظاهره انسانيه :- بمعنى ان الانسان وحده هو الذى ينفرد بخاصيه الثقافه والتفرد بهذه الظاهره وصنعها والحفاظ عليها فالانسان يتعلم قدرا من السلوك يفوق بكثير القدر الذى يتعلمه اى كائن اخر كما ان الكائنات الاخرى فى تعلمها تعتمد على السلوك الفطرى او الغريزىالموروث دون تغير يذكر وتبدو أفعالها كانعاكسات شرطيه محدده يصعب تجاوزها كما يكون تطورها بيولوجيا فى المقام الاول وليس ثقافيا أو اجتماعيا ومن ثم فهذة الكائنات مزوده ببعض اساليب السلوك التى تحافظ من خلالها على بقائها واستمراريتها ولكنها لا تطور هذة الاساليب بنفس الدرجه التى يتطور بها الانسان او يطور بهها اساليب حياته فالانسان مزود بالكثير من الملكات الى طور من خلالها الكثير من ملامح البيئه المحيطه لكى تصبح مهيأه للحياه فنجده قد طور المسكن والملبس وأخترع الكثير من الوسائل التى ا ستخدمها فى حياته اليوميه كما ابتدع اللغه بمدلولاتها ورموزها وحروفها وقواعدها

ويعيش الانسان فى جماعات تتميز بقدر من التنظيم كما يشترك أفراد الجماعه الواحده فى ممارسه عدد من انماط السلوك أو اساليب السلوك المتميزه التى تكون ثقافتهم الخاصه والتى تتميز عن غيرها من الثقافات وبذلك يمكن القول بان كل مجتمع انسانى له ثقافته التى تميزه، مادامت الثقافه هى ابداع أنسانى لجماعه ما من الجماعات ومحصله للتفاعل بين الانسان والبيئه طور الانسان خلالها الكثير من انماط السلوك، وبذلك فالثقافه ظاهره أنسانيه يتميز بها الانسان دون غيره من سائر المخلوقات .

٢- الثقافه تكتسب بالتعليم : فالانسان يتعلم قدراً من سلوكه يفوق بكثير ذلك القدر الذى يتعلمه أى كائن أخر فمنذ ولادته يبدا المجتمع الذى ولد فيه او يعيش فيه يبدا فى أكسابه الكثير من السمات الثقافيه، وذلك من خلال التنشئه المختلفه ، وهى الاسره والمدرسه والمجتمع . وجدير بالذكر أن عمليات التعلم لا تتم بشكل منظم أو من خلال عمليات التلقين المنظم والمعلن كتلك التى تحدث فى قاعات الدرس، ولكنها تتم من خلال مواقف الحياه اليوميه المتكرره، والتى يؤدى فيها افراد الجماعه من الراشدسن بعض انماط السلوك المفضل والذى تقره الجماعه وتفضله ، ثم يتعلمه او يقلده افراد الجماعه الاقل سنا ، وتصبح قبول هذة الانماط السلوكيه واداؤها فى المواقف المختلفه بمثابه أزعام من قبل الاشخاص لمعايير الجماعه والانخراط

فيها ، ومن ثم ينتقل خلال هذا الشكل من التعليم الكثير من قواعد السلوك ، والمعايير التى تحافظ على تماسك الجماعه والتى تتوسم الجماعه فى ابنائها أن يتمسكوا بها ويتعاملوا بها داخل هذة الجماعه وكثيراً ما تكون هذة المعايير السلوكيه قد أنتقلت الى الاجيال من خلال ذلك الشكل من التعلم

ولا يجب ان يتبادر الى الذهن أن الثقافه تورث شأنها فى ذلك شان بعض العناصر أو الخصائص البيولوجيه أو الفيزيقيه ولكنها تكتسب من خلال الوجود فى جماعه أجتماعيه معينه ، ويتاكد ذلك أذ أخذنا طفلاً وليداً ما أحدى الثقافات كالثقافه العربيه أو الاسبانيه لينشأ فى المجتمع الانجليزى أو الامريكى ، فاننا سوف نلاحظ ان هذا الوليد سيكتسب ثقافه المجتمع الذى عاش فيه لا المجتمع الذى ولد فيه

وقد يفهم لنا أن النشأه التاريخيه للثقافه وعمليه انتقالها من جيل الى جيل تعنى ان الثقافه تنتقل فى حلقات جامده لا تتغير وتظل سماتها ثابته بيد ان ذلك غير صحيح أذ لايمنع ذلك الانتقال من تاثر الثقافات بكافه المؤثرات التى تتعرض لها المجتمعات وتعمل على أحداث بعض التغيرات فيها ، ولا يقتصر التعليم على ا لانسان وحده بل تشترك معه جوانب هذه الظاهرة بعض الحيوانات مع الاختلاف الواضح فى كم وكيف التعلم بين الانسان وهذة الحيوانات

٢. اجتماعية: بما أنّ الثقافة هي نتاج اجتماعي أبدعته جماعة معيّنة، فإنّ دراسة الثقافة لا تتمّ إلاّ من خلال الجماعات (المجتمعات)، وذلك لأنّ هذه الثقافة تمثّل عادات المجتمعات وقيمهم، وليست عادات الأفراد كأفراد ، لا تطبّق إلاّ على جماعة معيّنة داخل المجتمع الواحد، ولا تطبّق على الجماعات الأخرى. وهذا ما يدخل في الثقافات الفرعية . وإن كانت النظم الثقافية تختلف في مدى شموليتها الاجتماعية. فهناك نظم تطبّق على أفراد المجتمع جميعهم، وفي المقابل هناك نظم كثيرة.

٣- الثقافه تجريد للسلوك: يرى بعض العلماء مثل (ردفيلد) أن الثقافه تتضح فى الافعال فى الاشياء الماديه ولكنها لاتتكون من ردود الافعال أو الاشياء ذاتها ، معنى ذلك أن الانثروبولوجى لايستطيع ملاحظه الثقافه بشكل مباشر ، ولكنه يلاحظ افعال الناس وتصرفاتهم واقوالهم ، وكذلك الاساليب التى يستخدمونها فى صناعه منتجاتهم الماديه .

٤- تتضمن الثقافه نمطاً مثاليا للسلوك ونمطاً واقعياً:-

يستخدم مفهوم النمط للاشاره الى اسلوب معين من اساليب السلوك الذى يمثل جزءاً من ثقافه معينه ولو أمعنا النظر فسوف يتضح لنا على الفور أن الانماط الثقافيه تنقسم الى نمطين:

- النمط الواقعى ، أى ما يفعله الافراد بالفعل فى المواقف المختلفه .
- الـنمط المثـالى وهـو مـا ينطـوى علـى تصـورات مثاليـه للسـلوك الـذى يجـب ان يتبـع فـى ثقافـه مـا. وينكشـف الـنمط المثـالى فـى اقـوال الافرادويدركـه الباحـث الانثروبولـوجى عنـدما يسـال عـن انمـاط السـلوك المتبـع فـى موقـف مـا أذ يحـرص ابنـاء الثقافـه علـى تقـديم ذلـك الـنمط المثـالى الـذى قـد لايكـون متيعـا فـى الواقـع ولكنـه يـؤدى دورا هامـا فـى عمليـات ضـبط السـلوك باعتبـاره معيـارايمكن القيـاس علـى اساسـه أو يحملـه الافـراد فـى مخيلـتهم عـن مجموعـه الانمـاط السـلوكيه المثاليـه وجـدير بالـذكر أن كافـه الثقافـات علـى اختلافهـا وتنوعهـا تعـرف هـذة الانمـاط المعياريـه للسـلوك وكلمـا اتسـعت الفجـوه بـين الـنمط المثـالى والـواقعى كلمـا تعـرض الافـراد للقلـق والعكـس هـو الصـحيح ، فهنـاك بعـض الثقافـات التـى يصـعب فيهـا التـزام الافـراد بهـذة الانمـاط المثاليـه لليلـوك عندئذتبـدع الثقافـه أو تبتكـر بـدائل اخـرى للسـلوك اقـل صـعوبه فـى تنفيـذها وتـؤدى نفـس الغـرض امـا فـى الحـالات التـى يقتـرب فيهـا الـنمط المثـالى مـن الـنمط الـواقعى فـإن ذلـك يعنـى درجـه اعلـى مـن الاتساق بين ما يجب ان يكون وبين ماهو كائن بالفعل.

ويصـنف (كلايـد كلاكهـون) الأنمـاط المثاليـه – وفقـا لوجودهـا فـى الثقافات المختلفه التى قام بدراستها الى الانماط التاليه :-

أ. الزاميه :-

فقد يكون النمط المثالى للسلوك الزاميا لافراد الثقافه بمعنى ان الثقافه لا تتيح الا هذا الشكل من السلوك أو لاتتيح الاوسيله واحده للاستجابه لمواقف معينه ولا تقبل من الافراد غير ذلك الشكل

ب. مفضله:-

وفى هذة الحاله تقل حده الالتزام السابق بالنسبه لنمط ما من انماط السلوك، وتقدم الثقافه مجموعه من البدائل السلوكيه لتفى بالغرض الا انها مع ذلك تفضل احد هذة البدائل اكثر من الاخرى

ج. نمطيه أو شائعه :-

ويطلق ذلك على الانماط السلوكيه بمجتمع نا اذا ما أتاحت الثقافه أكثر من بديل سلوكى وتقرها جميعا بنفس الدرجه ، ولكننا نجد أحد هذة البدائل أكثر أنتشاراً أو شيوعاً عن البدائل الاخرى .

د. بديله :-

عندما تتيح اللثقافه اكثر من اسلوب من أساليب السلوك، وتقرها جميعاً بنفس الدرجه ، ولا يوجد بينها أى أختلاف لا من حيث القيمه ولا من حيث الانتشار.

ومن الصعوبه الكشف عن التباين بين الانماط المث٣اليه والواقعيه فى اطار الثقافه الواحده ، ويتطلب ذلك استخدام لاساليب المنهجيه أطار الثقافه الواحده، ويتطلب ذلك استخدام الاساليب المنهجيه للانثروبولوجيا كالمعايشه والملاحظه لفترات كافيه فى المواقف المختلفه ، ثم مثارنه الاقوال ومطابقتها مع الانماط السلوكيه الفعليه فى هذة المواقف وكثيرا ما تتعثر الادوات الكميه للبحث والتى تستخدم الاسئله المباشره فى ان تفصح عن السلوك الواقعى عنئذ يقتصر الفهم على السلوك المثالى ، والذى غالبا ما يقدمه الافراد لاى قادم الى المجتمع ، او لكل من يسال عن انماط السلوك الشائعه فى موقف ما من المواقف .

٥- الثقافة تراكمية : تتميز بعض عناصر الثقافة بالتراكم ذلك أن الإنسان يبدأ دائما من حيث انتهت الأجيال الأخرى وما تركته من تراث وبتراكم الجوانب المختلفة تتطور بعض جوانب الثقافة وتختلف درجة التراكم والتطور من عنصر إلي آخر فبعض عناصر الثقافة في أي مجتمع تعبر عن خلاصة التجارب والخبرات التي عاشها الأفراد في الماضي.

٦- الثقافية تكاملية متطورة : على الرغم من أنّ لكلّ جماعة بشرية معيّنة ثقافة خاصة بها، إلاّ أنّ هذه الثقافة ليست جامدة، بل هي

متطـوّرة مـع تطـوّر المجتمـع مـن حـال إلـى حـال أفضـل وأرقـى. وهـذا التطـوّر لا يعنـى أنّ كـلّ مرحلـة ثقافيـة منعزلـة عـن الأخـرى، بـل ثمّـة تكامـل ثقـافي فـي ثقافـة المجتمـع الواحـد. وذلـك لأنّ الثقافـة بتكاملهـا، تشـبع حاجـات الإنسـان الماديـة والمعنويـة، وهـي تجمـع بـين المسـائل المتّصـلة بـالروح والفكـر، وبـين المسـائل المتّصـلة بحاجـات الجسـد. أي أنّهـا تحقّـق التكامـل بـين الحاجـات البيولوجيـة والنفسـية والاجتماعيـة والفكرية والبيئية.

٧- اسـتمرارية / انتقاليـة : بمـا أنّ الثقافـة تنبـع مـن وجـود الجماعـة ورضـاهم عنهـا، وتمسّـكهم بهـا، فهـي بـذلك ليسـت ملكـاً لفـرد معـيّن، ولا تنحصـر فـي مرحلـة محـدّدة .. لـذا لا تمـوت الثقافـة بمـوت الفـرد، لأنّهـا ملك جماعي وتراث يرثه أفراد المجتمع جميعهم . [٩]

٨- الثقافـة نسـبية : (بـواس "Boas") أول مـن فكـر بالنسـبية الثقافيـة كـل ثقافـة لهـا "أسـلوب" خـاص يتضـح مـن خـلال اللغـة والمعتقـدات والأعـراف والفـن أيضـاً وغيـر ذلـك. وهـذا الأسـلوب هـو "روح" يخـص كـل ثقافـة ويـؤثر علـى سـلوك الأفـراد ، ولا يمكـن أن تكـون عالميـة ومطلقـة أبديـة وأنهـا مسـتقلة فـى مجتمعهـا حسـب الظـروف والبيئـة وجغرافيـة المكـان ، وبالتـالي لا يجـوز أن نسـتخدم تعبيـر التخلـف الثقـافي لوصـف ثقافـة مجتمـع مـا لأن مرجعيـة التخلـف والتقـدم فـى

هـذه الحالــة سـتكون نسـبة إلــى ثقافـة مجتمــع آخـر فــى ظـروف أخـرى

١ ٣

.

خلاصة هذه الخصائص ما يلى :

١. إنها إنسانية أي خاصة بالإنسان فقط فهي من صنع الإنسان .

٢. مشبعة لحاجات الإنسان .

٣. إنهـا مكتسـبة يكتسـبها الإنسـان بطـرق مقصـودة أو غيـر مقصـودة عن طريق التعلم والتفاعل مع الأفراد الذين يعيشون معهم .

٤. إنهـا قابلــة للانتقـال والانتشـار مـن خـلال اللغـة والتعلـيم ووسـائل الاتصـال الحديثـة وتنتقـل مـن جيـل إلـي جيـل وفـي المجتمـع الواحـد من فرد إلي فرد .

٥. تطورية أي أنها تتطور نحو الأحسن والأفضل .

٦. الثقافــة متغيــرة فهــي فــي نمــو مســتمر وتغيــر دائــم فــأي تغيــر فــي عنصر من عناصرها يؤثر علي غيره من العناصر .

٧. أنهـا تكامليــة تشـبع الحاجـات الإنسـانية وتـريح الـنفس الإنسـانية لأنها تجمع بين العناصر المادية والمعنوية .

وإذا كانـت الثقافـة تشـكّل إرثـاً اجتماعيـاً، فإنّهـا إذن قابلـة للانتقـال مـن جيـل الكبـار إلــى جيــل الصــغار بواســطة عمليــة التثقيــف أو التنشــئة الثقافيــة /

الاجتماعيــة، كمــا يمكــن أن يــتمّ هــذا الانتقــال (الانتشــار) إلــى جماعــات إنســانية أخــرى مــن خــلال وســائل الاتّصــال المختلفــة ، فالثقافــة لا توجــد إلاّ بوجــود المجتمــع، والمجتمــع مــن جهتــه لا يقــوم ويبقــى إلاّ بالثقافــة، لأنّ الثقافة طريق متميّز لحياة الجماعة ونمط متكامل لحياة أفرادها .

ومن عناصر الثقافة الآخرى ايضا

اللغة [1]

تبــين أكتشــافات علمــاء الاثــار أن الانســان عــاش فتــره طويلــه بــدون معرفــه القــراءه والكتابــه ،ولا يــزال حتــى اليــوم عــدد الاميــين أكثــر مــن عــدد عــارفى القــراءه والكتابــه فــى العــالم ،ظهــر اختــراع الكتابــه منــذ حــوالى ســته الاف ســنه قبــل المــيلاد، بينمــا يبلــغ عمــر جــنس الانســان العاقــل وحــده مــايقرب مــن ٣٥ الــف ســنه أى ان اجــدادنا المباشــرين عاشــوا مــايقرب مــن ٢٧ الــف ســنه بــدون قــراءه او كتابــه، ولكــن مــن الثابــت أنهــم كــانوا بعرفــون لغــه الكلام،تــدل الادوات البســيطه التــى خلفهــا الانســان منــذ الاف الســنين علــى ان الانســان عــرف الكــلام فــى اللحظــه نفســها التــى بنــى فيهــا ثقافتــه البســيطه ،وذلــك لان تلــك الادوات والمخلفــات تعبــر عــن تطــور وتقــدم ثابــت رغــم بطئــه ،وهــذا التقــدم يــنعكس فــى تنــوع وكثــره ودرجــه تعقــد تلــك الادوات

[1] انظر الاستاذ الدكتور عاطف وصفى : الانثروولوجيا الثقافية .

عبر التاريخ ويتفق الانثروبولوجيين على أن اللغه الكلاميه قديمه قدم الثقافه حتى فى ابسط صورها الممثله فى أدوات بسيطه مثل عصا الحفر والفأس اليدويه ويقول العلامه هويجر hojer لابد أن تكون اللغه الكلاميه قديمه مثل أقدم الادوات الثقافيه التى اكتشفت ،فقد بدأت اللغه عندما بدأت الثقافه وأخذت تنموبصوره مستمره منذ تلك اللحظه ويستدل العلامه (هويجر) خاصه بفرد واحد وانما على الاقل بمجموعه من الافراد <u>تتمثل الوظيفه الاساسيه للغه</u>

فى كونها وسيله الاتصال والتعاون بين افراد مجتمع ما ، فعن طريق اللغه يستطيع الفرد ليس فقط نقل خبرته ومهارته للاخرين ونما يستطيع كذلك ان ينسق خبرته واعماله مع خبرات وأعمال الاخرين ، وهكذا اصبحن مجموعه الرجال قادره على القيام بعمل كان يعد صعبا جدا ولايمكن تحقيقه اذا قام به رجل واحد ويمكن أن نعبر عن تلك الوظيفه بمثال بسيط، وهو أن صياداً من قبيله البوشمن مثلا أستطاع ان يقتل زرافه فانه يعود الى معشره أو عائلته الكبيره ويخبرها بما حدث، وتيوجهون جميعا الى مكان الفريسه حيث يقسمون العمل بينهم ،فنجد واحد منهم يقوم بسلخ الجليد للزرافه ويقوم اخر بقطع لحمها ويستخرج ثالث الظام الصالحه لصنع السهام والحرب ويتعاونون جميعا فى حمل الصيد الى موقعهم واثناء ذلك العمل قد يقوم أحد بعمل الرئيس أو المنظم للعمل ويجب الا يفهم من ذلك أننا نؤيد التصورات التى ترجع

الـى ظهـور اللغـه الـى العمـل الجمـاعى وذلـك لانـه يوجـد الكثيـر مـن الكائنـات التـى تتميـز بتعـاون تـام فـى العمـل الجمـاعى ولا يوجـد لـديها لغـه، أن اللغـه تتطلـب عـده عناصـر مجتمعـه ،ولا توجـد تلـك العناصـر الا عنـدا لانسـان ،أولهـا العقـل أو الفكـر الـذى يصـنف الاشـياء والافكـار والعلاقـات الـى مجموعـات متشـابهه ثـم يقـوم بعمليـه أضـفاء الرمـوز الصـوتيه عـل كـل مجموعه

وثانيهـا جهـاز الكـلام ويتكـون مـن الجهـاز التنفسـى واللسـان والفـم والمـخ بشرط أن تكون تلك الاجهزه بصورتها الموجوده عند الانسان

وثالـث تلـك العناصـر المعيشـه فـى مجتمـع انسـانى ، وذلـك لان الانسـان كالطفـل أو كفـرد لابـد ان يـتعلم اللغـه مـن أسـرته ومجتمعـه ،واذا عـاش وحيـداً منعـزلا لايـتكلم وانمـا يخـرد أصـوات وصـرخات متنوعـه .هـذة العناصـر الثلاث لاتوجد مجتمعه سوى عند الانسان

والثـانى لايوجـد أن بمفردهمـا سـوى عنـد الانسـان كـذلك ،ولـذلك ميـز العلامـه أرسـطو الانسـان عـن بـاقى الحيوانـات بخاصـيه النطـق وحـدها وقـال الانسـان حيـوان نـاطق واعتبـر النطـق الصـفه الجوهريـه التـى تميـز الانسـان عـن بـاقى الحيوانـات يتفـق جميـع الانثروبولـوجيين مـع أرسـطو فـى هـذا القـول ولكـى نبـين الاهميـه الكبـرى للكـلام ،نفتـرض وجـود مجتمـع بـدون لغـه ،أن الفـرد (والجماعـه) فـى ذلـك المجتمـع لـن يكـون لديـه القـدره علـى تنظـيم

ابسط عمل جماعى ولن يستطيع نقل خبراته او حتى افكاره . البسيطه الى الاخرين ، وكذلك يكون عاجزاً عن الاشتراك فى الاعمال الجماعيه وكذلك عن توجيه مثل تلك الأعمال فى مثل ذلك المجتمع الافتراضى يعتمد كل فرد على قوته الذاتيه لانه لن تتوفر لديه الوسيله لطلب النجده من الاخرين أذا قابلته مشكله ،ولعل أهم ما ينقص ذلك المجتمع هو قدره افراده على استمرار أنماط السلوك المختلفه من جيل الى جيل ،وكذلك قدرتهم على التعلم وبالتالى لن يستطيع مثل ذلك المجتمع ان تكون له ثقافه ،وهكذا لن يرق ذلك المجتمع الا لمستوي جماعات القرده الموجوده حاليا والتى لا تتمتع بخاصيه النطق وبالتالى لا ثقافه لها .

يتضح مما سبق الدور الكبير الذى تلعبه اللغه فى تكوين الثقافه معملاحظه ان اللغه ما هى الا أحد أجزاء أو نظم الثقافه ،ولكن أهم الاجزاء جميعا،

فعن طريقها تنتقل الثقافه من جيل الى جيل وكذلك عن طريقها تسمو الثقافه ،وتسجل الثقافات عن طريق اللغات المكتوبه ، ولكن لايمنع ذلك ان ظهور اللغه معناه ظهور الثقافه ولا يمكن الفصل بينهما ،ولذلك قنا سابقا ان اللغه قديمه قدم الثقافه .

٢- <u>الفن</u>

الفن من زاويه أنثروبولوجيه أي بصفته نسقاً ثقافيا ، وقد تعرض الانثروبولوجيين لموضوع مدى عموميه تلك الفنون فى

جميع الثقافات ، ومن المعروف ان ثقافه مجتمع ما لايمكن أن تخلو من الفن

١- الاطار الثقافى للفن يقول العلامه بواز boas فى كتاب له بعنوان الفن البدائى نشر فى عام ١٩٢٧ أن الانسان لديه دافع فطرى ليشكل الاشياء بصوره خلاقه ، ولكن تحدد الثقافه التى ينتمى اليها الفنان الشكل الذى فيه يعبر الفنان عن ذلك الدافع الفطرى.

٢- اما العلامه هيرشكوفيتس فيؤكد على أن الفنان لابد ان يعبر عن دوافعه الجماليه فى اطار مبادى تحددها ثقافته، اهمها مستويات الجمال والذوق والاشكال المصرح بها والأشكال التى يفهما المجتمع ، ويجب ملاحظه ان المجتمعات تختلف تما فى هذه الاطارات ،فمثلا الرسم الذى يعد جميلا فى مجتمع قد لايعد كذلك فى مجتمع أخر ، بل قد يعتبره المجتمع جريمه يعاقب عليها العرف أو القانون

٣- يلاحظ أن الفن ظاهره أجتماعيه ثقافيه وأن مفهومه وعناصره تختلف من ثقافه لاخرى ،وذلك لاختلاف قيمه الجمال من مجتمع لاخر ،فالشعور بالجمال مرتبط بقيمه الجمال كما يحددها المجتمع هذا بالاضافه الى الدور الكبير الذى تلعبه وسائل الاعلام الحديثه فى ذلك الشأن وكلها من أختراع الثقافه

الغربيه . توجد اثار للفنون الاخرى مثل الرقص والموسيقى وما الى ذلك من الفنون الاخرى ، وهنا نشعر بالحاجه الشديده الى تحديد دقيق لتلك الفنون الاخرى ،

فيما يتعلق بالمجتمعات البدائيه المعاصره نلاحظ تنوعا كبيراً فى ظاهره الفن ،بحيث لايمكن تحديد خصائص عامه للفن عن تلك المجتمعات، ولايمكن باى حال أطلاق صفه البدائيه على الكثير من تلك المجتمعات ولايمكن باى حال أطلاق صفه البدائيه على الكثير من تلك الفنون ،أذا ان الدراسات الميدانيه أثبتت ان الكثير من تلك المجتمعات تفوق فنونها فنون المجتمعات المتمدينه، تبين وجود نوع من التخصص او التركيز على فنون معينه فى بعض تلك الثقافات ،فمثلا ثقافات غرب افريقيا تشتهر بفن حفر تماثيل خشبيه دقيقه وتعتبر من أجمل ما يصنع فى العالم ولا يوجد نظير تلك التماثيل فى المجتمعات المتمدين والمتقدمه، كذلك تشتهر الكثير من القبائل الزنجيه الافريقيه بقتدم فن الموسيقى وفن الرقص ، وكثيرا ما نسمع عن انتشار الكثير من موسيقاهم ورقصاتهم الى الدول المتقدمه .

وجدير بالذكر هنا ان نؤكد أن تصنيفنا للثقافات الانسانيه الى ثقافات بدائيه وثقافات متمدينه يقوع اسساً على القطاع المادى للثقافه، فبينما تتميز الثقافات البدائيه بالاودوات والالات البسيطه وتعتمد فى حياتها

على جمع الطعام والصيد ،نلاحظ ان الثقافات المتمدينه تتميز بتقدم التكنولوجيا وتقد الادوات والالات واعتنمادها فى حياتها على الرعى والزراعه والصناعه ، أما فيما يتعلق بالقطاع الاجتماعى والقطاع الفكرى والرمزى للثقافه فان التصنيف السابق لايعد صالحا وذلك لان كثير من النظم الاجتماعيه الموجوده فى الثقافات البدائيه تكون أكثر تعقيداً من تلك التى توجد فى المجتمعات المتقدمه ، وفيما يتعلق بالفنون يمكن أضافه صفه اكثر تقدماً ،بمعنى ان بعض تلك المجتمعات البدائيه تمارس فنونا معينه بصوره اكثر تقدما من الحاله الموجوده عليهاه تلك الفنون فى المجتمعات المتمدينه .لذلك فأننى أكرر أن الثقافات البدائيه هى الثقافات ذات التكنولوجيا البدائيه فقط ولايعنى ذلك بالضروره انها تمارس فنونا ونظما أجتماعيه بدائيه أو بسيطه أو متاخره ،وكذلك الحال بالنسبه للمجتمعات المتمدينه ،فانها متمدينه فقط فى التكنولوجيا ولا تسرى تلك الصفه على جميع عناصر القطاع الاجتماعى والقطاع الفكرى والرمزى لثقافتها .

الفصل الثالث

التغير الثقافى

التغير الثقافى

هنـاك نمطـين فهـو التغيـر الثقـافى الـداخلى internal cultural change الـذى يحـدث بفعـل عوامـل تنبـع مـن داخـل النسـق الثقـافى ذاتـه كالاختراع invention والاكتشاف discovery، والتجديد

والـنمط الثـانى هـو التغيـر الثقـافى الخـارجى external cultural change الـذى يرجـع الـى عوامـل تحـد مـن خـارج النسـق الثقـافى كالاتصـال cultural contact والاسـتعاره borrowing والتثـاقف acculturation

التغيـر الثقـافي ظـاهرة اجتماعيـة طبيعيـة مسـتمرة لا تتوقـف ولا يمكـن القضـاء عليهـا فـالمجتمع فـي تغيـر دائـم مهمـا كانـت حالتـه مـن العزلـة أو البدائية ومن عوامل التغير الثقافي طبيعة الفكر الإنساني نفسه

يعـرف التغيـر الثقـافي بأنـه التحـول الـذي يتنـاول كـل التغيـرات التـي تحـدث فـي أي فـرع مـن فـروع الثقافـة ، كمـا يعـرف التغيـر الثقـافي أيضـا بأنـه هـو التغيـرات والتحـولات التـي تطـرأ علـي الـنظم الاجتماعيـة ووظائفهـا وتظهـر عملية التغير الثقافي بشكل واضح في معرفتنا لمكونات الثقافة

وتجـدر الاشـاره الـى ان التغيـر لا يطـرا علـى العناصـر الثقافيـه بـنفس المعـدل، بـل يحـدث للعناصـر الماديـه لمعـدل يختلـف عـن حدوثـه للعناصـر اللاماديـه فقـد يكـون فـى اى منهمـا اسـرع مـن الاخـر والـدليل

على ذلك ان التغير فى العناصر الماديه من ثقافه سكان استراليا الاصليين يسير بمعدل اقل من نظيره فى العناصر المعنويه كالتنظيم الاجتماعى والدينى وفى المجتمع الامريكى تزداد سرعه التغير فى الشق المادى عن الشق اللامادى للثقافه، وفى مجتمعنا المصرى نلاحظ ان التغير فى العناصر الماديه يفوق فى سرعته التغير فى العناصر اللاماديه

أولا : التغير الثقافى الخارجى:-

يطرأ هذا النوع من التغير الثقافى بفعل مجموعه من العمليات الثقافيه الى تعد الى المجتمع من خارجه، ومن هذه العمليات الاتصال الثقافى والتثقيف والاستعاره والانتشار ومن الممكن أن نجمل هذة العمليات تحت فئتين من العوامل وهما الانتشار والتثقيف .

وعلى هذا يلعب هذان العاملان دوراً بارزاًفى عمليه التغير الثقافى ١- الانتشار diffusion

وهو مايشير الى نقل العناصر الثقافيه من مكان الى مكان اخر وهذا هو المعنى الذى ارساه تايلور ، ويفسر به أسباب تتشابه الكثير من العناصرر الثقافيه فى مجتماعات متباعده عن بعضها

ويتلخص تفسيره فى ان أنتشار الثقافه وانتقالها من مصدر واحد او من عدد من المراكز المشتركه هو سبب التشابه بين تلك العناصر .

ومن ناحيه اخرى فان هجره العناصر الثقافيه – او الثقافه ككل تحدث نتيجه للاتصال الثقافى وقد تكون هجره العنصصر الثقافى كامله ، والملاحظ أن هناك بعض تعريفات الانتشار تركز على أهم النتائج المترتبه عليه ، على حين تؤكد تعريفات أخرى على دور الانتشار كعمليه ثقافيه مستمره ومن التعريفات الاولى التى تركز على النتائج تعريف رالف لينتون r. linton للانتشار بأنه عمليه اصبحت الانسانيه قادره بمقتضاها على استقطاب قدرتها الابداعيه

والواقع أن المدرسه الانتشاريه تعتبر أن التغير الثقافى نتاج لانتشار عناصر او سمات ثقافيه من مجتمع اصلى الى مجتمع أخر عن طريق طريق الاستعاره أو الغزو أو النقل . وعلى هذا تتخذ الانتشاريه من الجغرافيا مجالا لها، وتقسم العالم الى مجموعه من الخرائط التى توضح الاوصول الاولى التى ظهرت فيها السمات والعناصر الثقافيه ومنها أنتشرت الى المناطق الثقافيه الاخرى

وقد يتم الانتشار عن طريق الهجره أو عن طريق الاستعاره فالهجرة تعمل على انتشار وحدات ثقافيه كبيره . أما الاستعاره فهى نقل وحدات ثقافيه بسيطه دون حدوث جركات شعبيه، أو انتقال شعوب بأكملها .

وعلى هذا يرى الكسندر الاند A. ALLAND ان التغير الثقافى يعتمد على التجديد وعلى الاستعاره أو الانتشار ، ولا يؤمن الانتشاريون بالانتقال الكلى للمجتمعات ، وانما يحدث هذا الانتقال لبعض العناصر الثقافيه ،

وتحتوى ظاهرة الانتشار الثقافي على ثلاث عمليات:

١. النقل : نقل العناصر الثقافية من مجتمع لآخر. وضرورة توافر إمكانية نقل ذلك العنصر عن طريق وسائل الاتصال وغيرها من وسائل النقل والانتشار.

٢. القبول : قبول العناصر المنقولة مع العناصر الثقافية السائدة فى المجتمع – بحيث أن يكون الوسط المنقول أليه النمط الثقافي مستعدا لتقبلة وعدم معارضته أو النفور منه.

٣. التوافق : توافق بعد قبول العنصر بواسطة المجتمع.

ثانيا : التغير الثقافى الداخلى :-

ويحدث هذا التغير بفعل مجموعه من الميكانيزمات الثقافيه النابعه من المجتمع نفسه ومن تلك العمليات والميكانيزمات الاختراع والتجديد والاكتشاف ونحاول فيما يلى الاشاره الى كل منها بايجاز:

١- الاختراع :-

وهو أضافه ثقافيه تحدث نتيجه لعمليات مستمره داخل ثقافه معينه ويرى لينتون أن الاختراع هو تطبيق جديد للمعرفه .اما وليام اوجبرنW. OGBURN

فينظر الى الاختراعات على انها توليفات بين عناصر ثقافيه قائمه فعلا فى شكل جديد ويعتبر الاختراع والاكتشاف ميكانيزمين للتجديد الداخلى فى ايه ثقافه – من وجهه نظر هيرسكوفيتس – وهما اللذان يحدثان التغير الثقافى ويكمن التمييز بين الاختراع والاكتشاف فى وجود الغرض أو غيابه ، وبالتالى يكون الاختراع أكتشافا هادفا .

واذا كانت الحاجه ام الاختراع فانها تدفع المخترع لتقديم الجديد فى الغذاء والمسكن والرى والزراعه ولا تفتصر على الجانب المادى وانما تشمل الجانب اللامادى أو الروحى أيضا ، فهناك مخترعون – قدموا – أو أخترعوا – تصنييفا جديدا لمصطلحات القرابه او

مظـاهر الابـداع الفنـى او الـدينى او الاجتمـاعى ومـن ناحيـه أخـرى فـان الاختراع يعد بمثابه خلق غرضى لشى ما ، جديد كليه من جذوره .

٢- الاكتشاف :

وهـو عمليـه الاضـافه الـى الثقافـه مـن خـلال ملاحظـه الظـواهر الموجـوده فعـلا، ولـم يلتفـت اليهـا احـد مـن قبـل ويـرى لينتـون أن الاكتشـاف هـو عمليـه الـوعى بشـئ قـائم بالفعـل ولكـن لـم يسـبق ادراكـه مـن قبـل والواقـع أن الشـق المـادى مـن الثقافـه حظـى بأهتمـام علمـاء الانثروبولوجيـا الثقافيـه ، علـى حـين لـم يحـظ الشـق اللامـادى (المعنـوى) بـنفس درجـة الاهتمـام، وان أقتصـر مجالـه علـى اكتشـاف الـنظم القرابيـه فـى المجتمعـات البدائيـه التـى درسـها الانثروبولوجيـون ، وعلى المعتقدات السحريه فى هذة المجتمعات

والمكتشـفون هـم أشـخاص موهوبـون غالبـا، ولا يعبـاون بـرد فعـل المجتمع تجاه خروجهم على التراث .[١]

٣- التجديد :-

وهـو مـا يشـير الـى اى عنصـر ثقـافى جديـد تقبلـه الثقافـه وهـو العمليـه التـى تـؤدى الـى هـذا القبـول ، ويمكـن أعتبارهـا صـوره مـن

[١] على المكاوى : دراسات فى الانثروبولوجيا الثقافية ، ص١٣١الى١٣٦

صور التغير الثقافى الذى يرتكز على التجديد أى الانتشار ويرى بارنت أن التجديد : هو أى فكره أو سلوك أو شى يكون جديدا ، لانه يختلف نوعيا عن الاشكال القائمه ، والواقع ان المجدد هو أنسان هامشى يجنح عما تألفه الجماعه – على حد قول بارينت – ولا يرضى بما يسودها من طرق تقليديه ، ويرفض الامتثال لها فى نفس الوقت

عوامل التغير الثقافى :

تتعدد العوامل التى تحدث التغير الثقافى ، وتتنوع ما بين عوامل نابعه من دالخل النسق الثقافى ذاته – وهذا ما أشرنا اليه سابقا حول التغير الداخلى ، وعوامل أخرى وافده على النسق الثقافى من خارجه وهى ما تشير الى نمط التغير الخارجى – فتغيره وبصرف النظر عن داخليه العوامل أو خارجيتها ، فاننا نتناولها هنا تحت عنوان واحد وهو عوامل التغير الثقافى ، وفيما يلى نستعرض موجز لها

١ – التكنولوجيا :-

تساهم التكنولوجيا بدور بارز فى احداث التغير الثقافى من خلال تيسير الاتصال بين المجتمعات والقضاء على الحواجز الطبيعيه

بينهـا وتـذوب الفـوارق السـلاليه والتباينـات العرقيـه ولـذلك قضـت التكنولوجيا على العزله الثقافيه فصار العالم كله اسره واحده .

والواقـع أن التكنولوجيـا لـم تتـرك مجـالا مـن مجـالات الحيـاه الاجتماعيـه والثقافيـه الا وطرقتـه وأسـهمت فيـه بقـدر ، فقـد دخلـت مجـال التعلـيم والزراعـه والصـناعه والاعـلام والطـب والحيـاه المنزليـه والمعتقـدات والتـروح وسـائر مجـالات الحيـاه لقـد قـدمت التكنولوجيـا الالات والادوات الطبيـه التـى أتاحـت تقـدم الطـب الرسـمى ، وزيـاده فاعليـه الوقايـه وكفـاءه العـلاج وعلـى هـذا زاد تقبـل الافكـار الجديـده وتبنيهـا وبالتـالى تزيد حصيله التغير الثقافى .

ومـن جانـب أخـر ، فـإن التكنولوجيـا تحـدث تغيـراً تـزداد سـرعته فـى العناصـر الماديـه عـن العناصـر المعنويـه (اللاماديـه) وهنـا يحـدث التخلـف الثقـافى كـذلك قـد تفـوق سـرعه تغييـر العناصـر اللاماديـه ، سرعه التغير فـى العناصر الماديـه ومهمـا كـان الامـر فـأن التغير الواقـع قـد يكـون للافضـل (تغيرأرتقـائى أو تقـدمى) ، كمـا قـد يكـون للاسـوءء (تغير نكوصى أو تخلف)

وقـد يكـون التغيـر تقـدمياً فـى عنصـر مـن مركـب العناصـر او يكـون نكوصيا فى جزء من المركب الثقافى وهكذا.

٢- التعلـيم : يسـرع التعلـيم بإحـداث التغيـر الثقـافى مـن خـلال مـا يتضـمنه مـن اكسـاب العقـل مهـارات فكريـه وقـدرات ابدايعـه وتنميـه الملكـات الذهنيـه ، فيكتسـب المتعلمـون القـدره علـى ربـط الاسـباب بالمسـببات والمقـدمات بالنتـائج والواقـع أن التعلـيم يعتبـر عـاملا داخليا للتغير الثقافى ، وعاملا خارجيا فى نفس الوقت .

ويظهـر اثـر التعلـيم واضـحاً فـى أحـداث التغييـر الثقـافى فـى مجتمعـات العـالم (القبلـى منهـا والحضـرى الصـناعى)، ولعـل مظـاهر هـذا التغيـر يتضـح فـى تبنـى الاسـاليب الطبيـه الحديثـه ، وغلبه النظره الموضوعيه الى العادات والتقاليد بقدر الامكان .

٣- وسـائل الاعـلام : يـذهب الـبعض الـى ان التغيـر الثقـافى مـاهو الا ثمره مـن ثمـار وسـائل الاعـلام وهـذا يـدل علـى خطـوره هـذة الوسـائل الاعلاميـه المسـموعه والمقـرءة والمرئيـه وعمـق تاثيرهـا فـى المجتمـع وتعتـابر ثقافتـه واذا كانـت الوسـائل الاعلاميـه المقـروءه مقصـوره علـى المتعلمـين والملـيمن بـالقراءه والكتابـه ، فـأن غيـر المتعلمـين عمومـا هـم اكثـر أعتمـاداً علـى الوسـائل المسـموعه والمرئيه حيث تقدم الخدمه الاعلاميه جاهزه يسيره .

ومن ناحيه أخرى فان وسائل الاعلام تلعب دوراً بارزاً فى تغيير طراز الزى حينا ، وبعض الانماط السلوكيه حيناً أخر علاوه على هذا فهى تكسب المجتمع عادات جديده ، هى غالباًعادات الطبيقات الاعلى ونجوم المجتمع والجدير بالذكر أن العبره ليست بوسائل الاعلام بقدر ماهى مرتبطه بالمضمون المذاع أو المنشور أو المبث وبالتالى تحمل هذة الماده بصمات المشرفين على تلك الوسائل، وتعكس طريقه تفكيرهم ونظرتهم للثقافه .

وقد يكون دور وسائل الاعلام فى أحداث التغير ، واضحاً فى اكساب المجتمع عناصر ثقافيه جديده ، والتخلى عن عناصر ثقافيه قديمه كما قد يكون هذا ا لدور تدعيما للثقافه السائده فى المجتمع . ويتمثل الدور الاول لوسائل الاعلام (اكساب العناصر الجديده) فى انها تكسب الانسان المعرفه بالصحه والمرض ، فيستقى منها افكاره عن العلاج والوقايه والعادات الضاره والعادات الصالحه ، علاوه على تزويده بإطار من المعرفه يساعده على أكتساب الوعى الصحى

أما الدور الثانى (تدعيم الثقافه السائده) فهو يتمثل فى نشر الافكار الداعيه الى التمسك بالمعتقدات الشعبيه السائده

المضـاده للرعايــه الصــحيه ، او للمنطــق والعقــل مثــل تصــوراتنا عن العالم فوق الطبيعى أو البيئه او الصحه ..... الخ

٤- الانفتـاح علـى العـالم الخـارجى : لقـد غـزت وسـائل الاعـلام العـالم كلــه، واذابــت الفــروق والحــواجز وقضــت علــى العزلــه وعلــى هــذا زادت عمليــات الاتصــال بالمجتمعــات الاخــرى ، والانفتــاح علــى العـوالم الاخـرى ، والاطـلاع علـى تجـارب الاخـرين ، والاسـتفاده مـن خبراتهم ، وزياده معدلات الهجرات الريفيه الحضريه (الداخليه)

والهجــرات الخارجيــه المؤقتــه(كــالهجره الــى المجتمعــات العربيــه البتروليــه للعمــل فتــره ثــم العــوده) او الهجــره الدائمــه(كــالهجره الــى المجتمعات الغربيـه والامريكيـه والبقـاء فيهـا وعـدم العـوده مـره أخـرى الى المجتمع الاصلى)

لقــد لعبــت كــل هــذة العوامــل دورهــا الواضــح فــى احــداث التغيــر الثقــافى حيــث يكتســب الانســان قيمــا جديــده كالانجــاز والســرعه واحترام الوقت

وعـلاوه علـى هـذا تتعـدل نظـره الانسـان الـى الحيـاه والعـالم ، وتتسـع أفاق معرفته ، ويكتسب ثقافه جديده .

ولـذلك يسـاعده انفتاحـه علـى العـالم الخـارجى ، علـى التعامـل مـع مواقـف الحيـاه الاجتماعيـه والثقافيـه مـن منظـور ثقافتـه الجديـده المكتسبه .

الفصل الرابع

مفاهيم و الموضوعات في علم الأنثروبولوجيا الثقافية

ثانيا : أهم المفاهيم والموضوعات في علم الأنثروبولوجيا

إن الموضوع الأساسي للأنثروبولوجيا بشكل عام هو الإنسان بكل نواحيه فجسم الإنسان في ذاته ونشأته وتطوره هو موضوع الأنثروبولويا الفيزيقية بينما علاقات الإنسان وسلوكه ومختلف العلاقات التي تنتج عن اتصاله بالآخرين هي موضوع الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية .

إن الأنثروبولوجيين الأوائل عمدوا إلى دراسة المجتمعات البدائية البسيطة في تركيبتها وثقافتها فكان المجتمع البسيط والذي وصف بالبدائي هو الموضوع الأساسي الذي وجهت إليه أنظار الأنثروبولوجين قبل أن يتجهوا لدراسة المجتمعات صغيرة الحجم. أن رادكليف براون مثلا حدد مجال دراسة الأنثروبولوجيا في مقال له عن المنهج عام ١٩٢٣ بالمجتمعات البدائية لكنه عاد سنة ١٩٤٤ ليجعل من جميع أنماط المجتمع الإنساني مجالا للدراسة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، وهو نفس الموقف الذي أبداه إيفانز بريتشارد الذي رأى بأن الأنثروبولوجيا هي " فرع من الدراسات الاجتماعية يتخد من المجتمعات الانسانية جميعا (بأنماطها المختلفة) موضوعا له ، وإن كان يركز على دراسة النمط التقليدي منها"

والواضح أن الموضوع الأساسي للأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بشكل خاص يتراوح بين الاتجاه لدراسة البناء الاجتماعي ومختلف النظم

والأنساق الاجتماعية التي تكونه ووظيفة هذه النظم ، إضافة إلى دراسة الثقافة بمكوناتها المختلفة.

١- مفهوم البناء الاجتماعى

وهو من الموضوعات الأساسية في الدراسات الأنثروبولوجية ، وتولى الأنثروبولوجيا الاجتماعية البناء الاجتماعي اهتمام ملحوظ فهى تحلل هذا البناء فى المجتمعات الانسانية . أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية تدرس كل المجتمعات الانسانية البسيطة والمركبة وخاصة المجتمعات البدائية والبسيطة التى يظهر فيها تكامل البناء الاجتماعي ، حيث يعد البناء الاجتماعي ، والعلاقات الاجتماعية هما الموضوع الاساسي الذى تدرسة الأنثروبولوجيا الاجتماعية فى المجتمع .

لقد تعددت تعريفات العلماء للبناء الاجتماعي :

- نسيج يتكون من العلاقات التى تربط بين أعضاء مجتمع ما .
- ويشير البناء الاجتماعي إلى النظام الاجتماعي العام الذي يتكون من مجموعة من النظم الفرعية التي تتشكل بدورها من مجموعة من الظواهر والعلاقات الاجتماعية
- مجموعة العلاقات الاجتماعية القائمة بين أفراد الجماعة بعضهم ببعض ، وبينهم وبين الجماعات الأخرى فى المجتمع وتؤلف هذه

العلاقات النظم الاجتماعية التى تؤلف الأنساق الاجتماعية ، وتتضمن القيم والمعايير والمثل والاتجاهات التى تحدد وتوجه سلوك الأفراد بعضهم تجاه بعض وتجاه جماعاتهم٣.٢

- ويعبر مفهوم البناء عن العلاقة المتبادلة والأدوار، وأدرك بعض الأنثروبولوجيين أن نظم المجتمع مركبة في هذه الأدوار، وعليه فإن البناء مجموعة أفراد يتفاعلون في الأدوار، فالعلاقات التي تربط بين الأفراد تحدد أوضاعهم ومراكزهم الاجتماعية.
- البناء الاجتماعي عند إيفانز بريتشارد : يعني بريتشارد بالبناء الاجتماعي تلك العلاقات التي تربط بين الجماعات والتي تتميز بدرجة عالية من الثبات والتركيب ، أي أنه يقصد استمرار الجماعات و استمرار أنماط العلاقات التي تربطها بغض النظر عن الأفراد الذين يؤلفونها .

والجدير بالذكر أن البناء الاجتماعى الكلى العام – لاى مجتمع – يتضمن عداً من الابنيه او الانساق الفرعيه sub – systems أو النسق الاجتماعى economic system أو النسق السياسى political system فلا هذا البناء الكلى ويتخذ السلوك والتصرفات الاجتماعيه داخل نطاق هذا النسق شكل النظم الاجتماعيه كالزواج والعائله والاسواق.....

وحينما نتكلم عن وظائف هذه النظم ، فأننا نقصد الدور الذى تؤديه فى صيانه البناء والمحافظه عليه

أما راد كليف براون Radcliff –brawn فقد ناقش مصطلح البناء الاجتماعى ، وحاول تعريفه من خلال النظر الى هذا البناء باعتبار أنه يتضمن ثلاث مجموعات من الظوارهر الاجتماعيه وهى :

وهى ما يعرف بالاشكال المورفولوجيه للمجتمع الانسانى وهى أشكال :

١- الجماعات الاجتماعيه المستمره فى الوجود لفتره كافيه من الزمن يتجمع الانسان فيها ويتكتل فى وحدات اجتماعيه تختلف فى الحجم والوظيفه

٢- كل العلاقات الاجتماعيه بين فرد وفرد من اعضاء مجتمع معين فمثلا يتكون نظام القرابه – لاى مجتمع – م ن عدد من العلاقات الثنائيه بين الاب والابن وبين الام والابنه وبين الزوج والزوجه وبين الابن والخال.....الخ

ويعد نظام القرابه اهم النظم الاجتماعيه فى المجتمعات البسيطه وبالتالى يقوم البناء الاجتماعى كله على أساس شبكه العلاقات القرابيه التى تحدد كل العلاقات الاجتماعيه فى المجتمع وبالتالى يؤكد براون على أن النظم الاجتماعيه هى المجموعه الثانيه من الظواهر الاجتماعيه المكونه للبناء الاجتماعى

ظـواهر التبـاين والتنـوع بـين الافـراد والجماعـات فـى المجتمـع وتحـدد هـذة الظـواهر الادوار الاجتماعيـه social roles التـى يقـوم بهـا هـؤلاء الافـراد والجماعـات وكـل مجموعـه مـن الادوارتنتمـى الـى مراكـز أجتماعيـه social statuses يحـددها المجتمـع ويشـغلها الافـراد والجماعـات حسـب شـروط محـدده كـالنوع مـثلا (مراكـز الرجـال أخـرى للنـاس) والسـن (مراكز للاطفال واخرى للشباب وثالثه للمسنين

أهم خصائص البناء الاجتماعى [1]

١- يتكـون البنـاء الاجتمـاعى مـن انمـاط العلاقـات الاجتماعيـه ولـذلك حينمـا نحـاول دراسـه البنـاء الاجتمـاعى لمجتمـع مـا فلابـد مـن ملاحظـه العلاقـات الاجتماعيـه فـى صـورتها الواقعيـه المحسوسـه والتـى تـرتبط بحـدود وبمكـان معـين وبزمـان معـين ايضـا وتوجـد هـذه العلاقـات بـين شخصين على الاقل – وبين جماعه أشخاص فى الغالب – حينما .

يوجـد بعـض التوافـق بـين مصـالح الاشـخاص أو يوجـد تعـارض بشـانها ، أوعنـدما توجـد محـاولات للحـد مـن الصـراع النـاجم عـن تعـارض المصـالح . وقـد حـدد رادكليـف بـراون المقصـود مـن (المصـلحه) هنـا بأنهـا (كـل سـلوك هـادف) وفـى هـذه الحالـه ينبغـى علـى الانثربولـوجى الاجتمـاعى أن يلاحـظ عـدداً ضـخماً مـن العلاقـات الاجتماعيـه المجسـده فـى مجتمـع صـغير

[1] على المكاوى : الانثروبولوجيا الاجتماعيه ودراسه التغير والبناء الاجتماعى .

الحجم ومن خلال الاقامه الدائمه مده طويله فى مجتمع الدراسه ، ومعرفه اللغه المحليه التى يتفاهم بها أبناؤه ، يستطيع تسجيل هذة العلاقات العديده، وتنظيمها وتصنيفها فى مجموعات أو فئات متشابهه فى الموضوع والوظيفه والشكل .

ومثال ذلك أداب التحيه وأستقبال الاصدقاء لبعضهم بعد طول غياب حيث يتضح الموضوع فى عنصر التلاقى بعد الانقطاع حينا من الدهر وتتمثل الوظيفه فى أظهار وتقويه درجه التماسك الاجتماعى بين أعضاء المجتمع على حين يتجسد الشكل فى اسلوب التعبير عن فرحه اللقاء والتقبيل والاحضان والعناق وترديد عبارات التحيه بشكل متكرر وسريع ... الخ وفى هذة الحالات يقوم الانثروبولوجي الاجتماعى باطلاق أصطلاح أنماط على تلك المجموعات المتشابهه من العلاقات الاجتماعيه القائمه تمييزاً لها عن صورها الواقعيه أذن من تلك الانماط يتكون البناء الاجتماعى ، ويتصدر الانثروبولوجى للكشف عنها .

٢- البناء الاجتماعى هو كل نسيج متشابك الاجزاء: يتكون البناء الاجتماعى – كما اشرنا من أنماط العلاقات الاجتماعيه ، التى توجد على ثلاثه أقسام وهى التجمعات أو الجماعات التى يتكون منها المجتمع ، والنظم الاجتماعيه التى تمثل الجهاز الادارى الذى يحافظ

على أستمراريه البناء ، والمراكز الاجتماعيه التى يشغلها الاشخاص والجماعات ،والادوار الاجتماعيه التى يقومون بها من خلال المركز الاجتماعيه والواقع أن الانثروبولوجى الاجتماعي يضطلع بدراسه هذة الاقسام وما تتضمنه من موضوعات فرعيه باستخدام المنهج الكلى holistic me thod الذى يغطى كل أجزاء البناءالاجتماعى ولعل هذا المنهج الكلى هو الذى يميز دراسات الانثروبولوجيا ، كما أنه يتسق مع طبيعه الواقع الاجتماعى الذى تتفاعل اجزاؤه وعناصره وتنصهر فى بوتقه هذا الكل ويمثل الكشف عن العلاقات المباشره بين أجزاء البناء الاجتماعى ، اصعب المهام التى يضطلع بها الانثروبولوجى الاجتماعى

ومن الامثله على ذلك نقول أن النظام الدينى جزء من البناء الاجتماعى وبالتالى تزداد العلاقات قوه بين الدين وبين عناصر البناء الاجتماعى أذ يحدد الدين نظم الزواج والطلاق والميراث وتربيه الابناء وعلاقه الزوج بالزوجه كذلك تستمد القيم والفضائل التى تحكم سلوكنا وتصرفاتنا من الدين ويؤثر الدين فى حياتنا الاقتصاديه وفى المأكل (الحلال والحرام) والمعاملات الماليه ....الخ

الانثروبولوجي الاجتماعى ينظر للبناء باعتباره شبكه من العلاقات وعليه ضروره الكشف عن التاثير المتبادل بين عناصر هذة الشبكه (البناء)

٣- البناء الاجتماعى مستقر ولكنه جامد : لايمكن لاى بناء أجتماعى أن يقوم بوظيفته فى الحفاظ على تماسك المجتمع ، الا اذا ظل المجتمع قائما لفتره طويله من الزمن تكفى لظهور هذا البناء أولا وتضمن أستمراره ثانيا ولذلك يستمر المجتمع دهوراً،على عكس ما يحدث للافراد الذين يكونونه وقد يتعطل نظام من نظم البناء الاجتماعى أثناء الحروب أو الكوارث مثلا ، ولكن سرعان ما يستعيد هذا البناء استقراره وبقاؤه والواقع أن الاستقرار والبقاء لايعنيان وضعاً جامداً ، وانما يعنيان الحركه والديناميه مثل استمرار البناء العضوى لجسم الانسان حيث تتجدد خلاياه باستمرار ويحدث نفس التجديد للبناء الاجتماعى أيضا حينما يدخله أعضاء جدد (بالولاده أو الهجره) أو حينما يغادره أخرون ايضا (بالوفاه و الهجره)

ومن ناحيه اخرى يتعرض البناء الاجتماعى للتغير ، فتتغير العلاقات الاجتماعيه ويتغير المجتمع بحكم العوامل الاجتماعيه المختلفه كالتعليم والفروق الجليله والفروق الريفيه الحضريه والطبقه الاجتماعيه والانفتاح على العالم الخارجى واساليب الاتصال ...الخ

٢- المركز الاجتماعي social status

يقصد بالمركز : هو الوضع أو المكانة التي يحتلها الفرد في النسق بالنسبة لغيرة من أفراد المجتمع الذى يلتزم بأدائة والحقوق التى

يكتسبها ، كما يتضمن المنزلة الاجتماعية والتى يقصد بها مركز ذو مكانة ذو درجة محددة فى سلم متعدد الدرجات بعضها مرتفع والأخر منخفض وقد تكون هذه المنزلة او الرتبة مرتفعة او منخفضة .

لا يوجد مجتمع إنساني يتساوى فيه جميع أعضائه فى المركز ، ولذلك تشتمل كل المجتمعات على نظام يحدد أشكال وخصائص التباين بين افراده ويعد هذا النظام من أهم عناصر البناء الاجتماعي لأى مجتمع .

أن كل مركز يحدده المجتمع يصاحبة مجموعة من أنماط السلوك المتعارف عليها ، وللفرد الواحد داخل البناء الاجتماعي عدة مراكز وبالتالى يقوم بعدة أدوار .

إن المركز الذى يشغلة الفرد ويحدد له الدور ، ويكون هذا المركز موروثا او معتمدا على أسس معينة مثل الثروة أو التعليم وغيرهما .

وقد ميز (لينتون) بين نوعين من المراكز :

أ. <u>مراكز مفروضة</u> : والتى يرثها الفرد من والدية أو التى تولد معه او قد تفرضها النظم الاجتماعية فهى مراكز غير خاضعة لإرادة الإنسان فى الحصول عليها . ومنها المراكز المحددة بعمر الفرد من طفولة وشباب وشيخوخة او تلك المراكز المحددة بالنوع (ذكر – أنثى)

..ومنها أيضا المراكز المعتمده على التوارث مناصب معينة والمترتبة على الانتماء الى طبقة معينة .

ب. مراكز مكتسبة : وهى التى يحصل عليها الإنسان بمجهوداته ولكى يصل إليها عليه أن يقوم بأدوار ، على عكس المراكز المفروضه التى قد تفرض على الانسان أدوارا قد لا يستطيع القيام بها. ومن أمثلة المراكز المكتسبة المراكز المترتبة على تعلم واكتساب مهارة معينة . أمثلة على المراكز (مراكز أساسها النوع – مراكز أساسها العمر – مراكز أساسها الثروة – مراكز أساسها المهارات)

اذاً فإن مركز الشخص بالنسبة هو مكانته بالنسبة غيره ممن له معهم علاقات اجتماعية . والالفاظ التى تتم عن المكانة أو المركز تحمل دائما معنى العلاقة مع شخص آخر مثل الابن والناظر والزوج والبائع ... وقد يشغل الإنسان عدة مكانات ، وقد يكون له مكانة كلية وهى اما مرتفعة أو منخفضة نسبيا بالنسبة لغيرة من أعضاء المجتمع .

ويهتم الباحث الأنثروبولوجى بالطريقة التى يحدد بها المجتمع أدوار الأفراد وكذلك نتيجة عدم أدائها على الوجه الأكمل .

٣.(الـــدور) : وهـــو مجموعـــة مـــن أنمـــاط الســـلوك المتعـــارف عليهـــا والمصاحبة لمركز محدد . وبما أن الفرد له عدة مراكز فى المجتمع فإنه يقوم أيضا بعدة أدوار.

اننا نبذل ما فى وسعنا لنقوم بدورنا المتواضع وعندما تتكون لدى الناس أفكار جديدة عن أداء أدوارهم يتحقق التغير الاجتماعى والقواعد التى تحدد الأدوار تسمى توقعات الدور ، أما الضبط الاجتماعى الذى يهدف الى حمل الناس على القيام بأدوارهم وفقاً لهذه التوقعات ،وهذه المكانات والأدوار لا توجد الإ فى إطار جماعة اجتماعية معينة .

٥ – الأنساق الاجتماعية:

يتكون النسق من مكانات وأدوار وتجمعات ومجموعة من الأشخاص، تربط بينهم علاقات، وهذه الأنساق التي يتألف منها البناء الاجتماعي ينجز عندها الفرد أهدافه ويجد حلولاً للمشكلات، ويشير ايضا الى الهيكل الرسمى للدور والمركز الممكن تشكيلهم فى الجماعات الصغيرة المستقرة ومن الممكن للفرد أن ينتمى لعدة نظم أو أنساق اجتماعية فى وقت واحد

مثلاً المقصود بمجموعة العلاقات والروابط التى تتعلق بتكوين الأسرة ونظام القرابة وتربية الأطفال وشبكة العلاقات بين الزوجين وبينهما وبين

الأولاد ، والعلاقات مع الأصهار ..الخ كل ذلك يكون ما يسمى نظام الأسرة أو النظام العائلى .

(الأنساق الاجتماعية للبناء الاجتماعي):

١-النسق الأيكولوجي. ٢-النسق القرابي. ٣-النسق السياسي.

٤-النسق الاقتصادي. ٥- نسق الضبط الاجتماعي والقانوني.

٦- مصطلح المجتمعات البدائية

يشير الى مجتمعات غير المتحضره او الجماعات المنعزلة نسبيا والبسيطة والصغيره وهى ذات نظام تكنولوجى بسيط وينعدم فيها التطور ويتوفر قدر من الخشونة وتتسم بعد التمايز وهى عادة لا كتابية وهى لا تستخدم النقود فى عمليات البيع والشراء ، فهى تتميز بأنها معزولة من الممكن أن تكون العزلة نسبية الامر الذى لم يتح لها فرصة الاحتكاك الثقافى بسائر الجماعات والثقافات الأخرى .

وذكر السير جيمس فريزر فى كتابة الغصن الذهبي أن البدائين لا يستطيعون أن يميزوا بين الأحلام والأفعال الواقعية التى يقومون بها فى حياتهم اليومية كذلك فان بعض القبائل البدائية يرفض أفرادها ذكر أسمائهم للغرباء ولوفعلوا ذلك فان هذا الغريب يستطيع أن يسيطر عليهم.

أن كلمة بدائي لا تعنى أن هذه الشعوب لا تتمتع بتاريخ أو حضارة ، فقد مرت الشعوب البدائية بأطور تاريخية قد تماثل فى طولها الأطوار التى مرت بها المجتمعات الأخرى غير أنه لاسباب معينة وقفت عند حد معين من التطور كذلك فان لهذه الشعوب عقائد دينية وهم يجرون الطقوس فى المناسبات المختلفة ويوقومون بالاحتفالات فى حالات الزواج وتتركز الاسرة فى البيت ولديهم نوادى وروابط تخص أهدافهم الخاصة ولديهم قيم وأخلاقيات وتنظيمات وقواعد قضائية وهم يتكلمون لغة معقدة ولديهم الأساطير والأقوال المأثورة وهم يمارسون الفن ولديهم معرفة واسعة بالسحر والكهانة والتكهن بالغيب

والمجتمعات البدائية تتميز بالبساطة فى فى علاقات الناس بعضهم ببعض وبساطة بناءتها وأنظمتها وتنظيماتها الاجتماعية فهى مجموعات صغيرة تتكون من العشيرة والقبيلة والقرية على حين ان الثقافات المتقدمة تتسم بتعقدها لما لها من تاريخ وماضى مما يفسر تقدمها .

وتتميز المجتمعات البدائية بأن لها تاريخ غير مكتوب نظرا لكونها ثقافات متخلفة لا تعرف الكتابة ولا شك أن الكتابة سمة أساسية من سمات الثقافة والحضارات حيث تخلف تراثا مسجلا على المعابد والأثار .

ورغم ذلك فهناك ثقافات بدائية ذات حضارة مثل الأزيتك Aztecوالمايا فى امريكا الوسطى والجنوبية لما تمتاز به هذه الحضارات من تاريخ حافل بالتراث الثقافى ، وتستند المجتمعات البدائية على أنساق القرابة وصلة الدم والجوار المكانى ، ومن ثم فهى تتشابة عرقيا ، واجتماعيا حيث تنعدم الفوارق الطبقية . والمجتمعات البدائية من الموضوعات الرئيسية التي تهتم بدراستها الأنثروبولوجيا، حيث تدرس مختلف فروع الأنثروبولوجيا العامة كيفية تكيف الإنسان البدائي مع مختلف البيئات الفيزيقية والجغرافية والاجتماعية والثقافية .

٧- الثقافة البدائية ذات نظام تكنولوجى منخفض المستوى ، بسيط المحتوى ، يتمثل فى مجموعة من الحراب أو السهام المستخدمة فى الصيد او الحرب مما يفسر لنا تكنولوجيا البدائي هى تكنولوجيا الصيد وصناعة القوارب والرماح . وينعدم التخصص الاقتصادى فى الثقافات البدائية نظرا لبساطة تقسيم العلم الاجتماعي وتشابه الوظائف التى يقوم بها الانسان الفرد حيث يكون التضامن بين البدائيين آليا . وهو ما يفسر طبيعة السلوك الاستاتيكى الثابت بين البدائيين حيث يمكن التنبؤ به مقدما تماما كما فى خلايا النحل مثلا.

٨- نسق القرابة فى المجتمعات البدائية

خلط البعض بين القرابة والأسرة والزواج نظرا للارتباط الوثيق بينهما فالزواج علاقة تعاقدية او نظام اجتماعى مشروع بين الرجال والنساء

وقد عرف (وستر مارك) الزواج يستخدم للتعبير عن وضع اجتماعي ويمكن تعريفه بهذا المعنى كرابطة بين رجل أو اكثر بامرأه أو أكثر تعترف بها العادة والقانون ، وينطوى على حقوق وواجبات معينة فى حالتى الطرفين اللذين يدخلان فى هذا الاتجاه ، وفى هذا الصدد يذكر نيدهام needham مدى أهميه موضوع القرابه فى مجال الانثروبولوجيا حيث يقول ان القرابه بالنسبه الانثروبولوجيا هى كالمنطق بالنسبه للفلسفه كما يؤيده فى هذا الرأى روبن فوكس.

كما يذهب كثير من العلماء الى إن أفضل وانجح وسيله لدراسه البناء الاجتماعى للمجتمع البدائى هى البدء بتحليل نظام القرابه ورغم التراث الهائل الذى تركه الرواد من علماء الانثروبولوجيا التطوريين الا ان الدراسه المقارنه لانساق القرابه لم تنل حتى الان ماهى جديره به من أهتمام كبير من جانب الدراسيين المحدثيين وهذا ما دفع لورى lowie الى القول بان كل نقطه تقريبا فى هذا الميدان بحاجه الى د راسه .

ومن المعروف أن علماء الانثروبولوجيا فى القرن التاسع عشر قد اتجهوا فى دراساتهم للانساق القرابيه اتجاها تطوريا ، وذلك مع التيار

الفكرى الذى ساد ذلك العصر ، حيث سيطر التفكير تالتطورى على كل مجالات الحياه وقد تمثل ذلك الاتجاه فى كتابات عدد من علماء الانثروبولوجيا المشهورين من امثال لويس مورجان lewis morgan وسير هنرى مين sir henry maine، وباخوفن bachofen ، وماكلينان maclenan وغيرهم ، ثم طرات على تلك الدراسات القرابيه تغيرات جذريه تمثلت فى محاوله تطبيق علماء الانثروبولوجياالمحدثين المنهج الوظيفى البنائى ، وربما يعتبر رادكليف براون–RADCLIFFE BROWNمن أهم العلماء الذين حاولاتطبيق هذا المنهج

وقد نبه رادكليف – براون فى ذلك غالبيه علماء الانثروبولوجيا وبخاصه فى بريطانيا لذلك يرى بعض الكتاب ان رادكليف– براون هو صاحب الفضل فى توجيه الدراسات القرابيه التى قام بها العلماء فى القرن التاسع عشر وجهه منهجيه تحليليه منظمه، تعتمد على التحليل والمقارنه بالاضافة الى أن رواد كليف –براون يعتبر من العلماء القلائل الذين اسهموا بالكتب المنهجيه التى تناولت موضوع القرابه بالدراسه والتحليل ومما يؤكد نظره رادكليف – براون البنائيه التحليليه فى دراسته للقرابه انه يذهب الى ضروره التعرف معرفه كامله على نسق القرابه والزواج عند دراسه اى شعب من الشعوب البدائيه، أو عند محاوله فهم أى مظهر من مظاره الحياه الاجتماعيه لتلك الشعوب سواء كانت أموراً اقتصاديه أو سياسيه أو دينيه .

٩- رادكليف براون ومالينوفسكي

منذ بداية القرن العشرين القرن العشرين وصلت الانثروبولوجيا الى مرحلة التخصص وهى مرحلة ذات مظاهر متعددة ومنذ بداية تلك المرحلة أخذت الدراسات الميدانية أو الحقلية Field work عن المجتمعات البدائية تتوالى وتصبح أكثر نضجا . وكان العلامة الانجليزى هادون أول من طبق منهج الدراسة الميدانية عندما رأس بعثة جامعة كامبردج المؤلفة من بعض العلماء لدراسة منطقة توريس فى المحيط الهادى فى المحيط الهادى واستغرقت تلك الدراسة عامين من ١٨٩٨ الى ١٩٠٠ ثم عين أستاذ للانثروبولوجيا فى جامعة كامبردج عام ١٩٠٠ .

وكان مالينوفسكى ورادكليف براون بارزين فى دراسة المجتمعات البدائية متتبعين عاداتهم ووصف حياة تلك المجتمعات فى اتجاه بنائي وظيفى وقد كشف هذا الاتجاه تصور وخلل الانثروبولوجيا فى الفترات السابقة والتى كانت تتمثل فى جمع المعلومات عن طريق المخبرين او عن طريق الشخصي أو من رجال الادارة غير المدربين

فقد وصل تعميق وتركيز الدراسة الميدانية الى القمة على يد العلامة البريطانى مالينوفسكي الذى قضى فى دراسة لسكان جزر التروبرياند بمنطقة ميلاينزيا مدة استطاع خلالها أن يحلل ويفهم العلاقات

الاجتماعيــة عنــدهم فهمــا عميقــا ومنــذ عــام ١٩٢٤ بــدأ مالينوفســكي تدريب مجموعة من الانثروبولوجيين فى مجال الدراسة الميدانية .

راد كليـف بـراون : مـن أشـهر علمـاء الانثروبولوجيـا وكـان تلميـذ لكـل مـن ريفـرز وهـادون وقـام بدراسـة لسـكان الانـدمان وهـى مجموعـة جـزر فـى خلـيج البنغـال جنـوب بورمـا تتبـع الهنـد .وفـى عـام ١٩٣٧ أعـاد تنظـيم معهـد الانثروبولوجيـا فـى جامعـة اكسـفوردوعمل علـى تطـوير اتجاهاتــه ومــن الدراســات الانثروبولوجيــة التــى ظهــرت فــى هــذه الفتــرة دراسـة ايفـانز بريتشـارد الازانـدى والنـوير ودراسـة ريمونـد فيـرث (تيكوبيـا)

١٠- الانثروبولوجيا والتنميه

إرتبطــت الانثروبولوجيــا منــذ القــرن التاســع عشــر بتنميــه المجتمعــات الانسـانيه التـى تـم دراسـتها ويرجـع ذلـك الـى أن دراسـه مـا يعـرف فـى تـاريخ الانثروبولوجيــا المجتمعــات البدائيــه والتــى تفضــل تســميتها بالمجتمعــات البســيطه أو التقليديــه ، ومــع العقــود الاولــى مــن القــرن الماضــى بــدأت تظهـر الحاجـه الـى التعـرف علـى مشـاكل المجتمـع الحاليـه وقـد لجـأت كثيـر مــن الحكومــات الــى أخــذ الــرأى والاســتعانه بعلمــاء الانثروبولوجيــا لانهــم اكثر قدره على تفهم مشكلات المجتمع ووضع ا لحلول لها

وبدأ التفكير بطريقه علميه لوضع السياسات العلميه وإتخاذ القرارات الاداريه فى كافه مشكلات الحياه ، وعندما ظهرت الانثروبولوجياالتطبيقيه applied anthropologe كأحد فروع علم الانثروبولوجيا والتى تهدف الى الاستعانه بالدراسات الانثروبولوجيه النظريه فى ضبط التغير الاجتماعى وتوجيهه فى المجتمعات التقليديه وتجدر الاشاره الى وجود فروق بين الانثروبولوجيا التطبيقيه وفروع الانثروبولوجيا الاخرى أهمها :

و الانثروبولوجياالتطبيقيه applied هى التطبيق العملى للنظريات والنتائج الانثروبولوجيا الثقافيه والاجتماعيه فى الاداره والتعليم والخدمه العسكريه والخدمه فى والتخطيط والتنظيم الصناعى والتجارى .

١- الانثروبولوجيا التطبيقيه تدرس الثقافات المعاصره حاليا وكذا الشعوب الحاليه ودراستها لكيفيه مواجهه الجماعات المختلفه للمشكلات الاجتماعيه .

٢- تهتم الانثروبولوجيا التطبيقيه بالبحوث التى تعالج المشكلات والتى تنبع من حاجات أساسيه لدى أعضاء المجتمعات المختلفه

٣- الانثروبولوجيا التطبيقيه تبحث وتستخدم نفس الاساليب والمناهج العلميه للانثروبولوجيا الا أنها تتخطى حدود علم الانثروبولوجيا وقد تستعين بالعلوم الانسانيه فى حل المشكلات التى تواجه الانسان

وقد حددت الانثروبولوجيا منذ ظهروها مجالات رئيسيه من أهمها مجال الادراره ومجال التنميه ، والمجال الطبى ، ويهمنا التركيز على المجال الهام للانثروبولوجيا التطبيقيه وهو مجال التنميه حيث أن تنميه المجتمعات عمليه يقصد بها تهيئه عوامل التقدم الاجتماعى والاقتصادى للمجتمع عن طريق مساهمه افراده وجماعاته واستغلال إمكانياته وهذة العمليه ليست عمليه حديثه فى نوعها فمنذ زمن بعيد يتعاون أبناء القريه الواحده فى بناء السدود لمواجهه الفيضانات أو حفر الابار أو الترع والمصارف أو بناء وإنشاء دور العباده والمدارس ، والامثله على ذلك كثيره ومن بلدان شتى فى الهند وباكستانومصر فالاهالى فى أغلب بقاع العالم يساهمون فى تحديد مشاكلهم واحتياجاتهم ويعملون متعاونين على تنميه مجتمعاتهم .

وقد شاركت فى دراسات كثيره للتنميه نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر تنميه القرى المصريه قريه ابى صير بالاشتراك مع وزاره الشئون الاجتماعيه ، وكذلك دراسه لتنميه النوبه بعد إقامه مشروع

السد العالى والمشكلات التى تواجه التنميه كما قمت بدراسه للتنميه فى المجتمعات الحدوديه فى مجتمعات (حلاييب – ابى رماد – شلاتين) ثم تنميه مجتمعات شمال سيناء وجنوبها . .

ثم اتجهت الانثروبولوجيا التطبيقيه نحو تنميه هذة المجتمعات البدائيه وغيرها من المجتمعات المتخلفه بعد دراسه وافيه للعادات customsوالتقاليد tarditions لمعرفه ما يعمل منها على نجاح المشروعات، وما يؤدى منها الى أحباطها ولذلك تركز دور الانثروبولوجي فى تفسير تقبل المواطنين للتحسينات الواضحه فى الوسائل الفنيه لاول وهله كما يتوقع الفنيون ،

يمكن ان نجمل تطبيقات الانثروبولوجيا فى هذة الفتره فى ثلاثه مجالات هى :-

(أ) مشروعات تنميه المجتمعات المحليه

(ب) حملات الصحه العامه

(ت) مشروعات التوطين

هذا بالاضافة الى مجموعه اخرى من المجالات التى أظهرت الانثروبولوجيا فيها جدواها الكبرى ، حيث يقف علماء الانثروبولوجيا

الميدانيون على راس فريق الفنيين الذين ينمون تلك المجتمعات ،ثم أن دراساتهم لها تعد بمثابه قطب الرحى التى تدور حولها ما يمكن أن تقدمه المنظمات الدوليه من معونه فنيه فقد تكون الخطه سليمه تماما من الناحيه التكنولوجيه البحته ولكن اساليب تنفيذها تتعارض مع قيم المجتمع موضوع التنميه فتفشل الخطه .

بالوقوف على معوقات التقدم التكنولوجى فى الجماعات المتخلفه وتفيد المعرفه الانثروبولوجيه ايضاً فى تطوير الوسائل التكنولوجيه ، ووسائل الانتاج والاستغلال ،فى حدود الانماط الثقافيه المألوفه ،كما تسهل على أصحاب رؤوس الاموال والمستثمرين الحصول على أصلح العمال ملائمه للنواحى الانتاجيه بتكلفه اقل وبأدنى أجر ، وايضا تسويق السلع المصنعه .

وقد ادلى علماء الانسان بدلوهم فى مجال الصحه العامه فشرحوا وفسروا الافكار المتعلقه بالصحه وبالمرض

ولذا أعتمدت عليهم الهيئات الدوليه التى تتولى تنفيذ المشروعات الصحيه وترجع أهميه الاعتماد على الانثروبولوجيا فى مجال الصحه العامه الى أعتبارات منها :-

- ان الاطار الاجتماعى او الثقافى باعتباره أنعكاساً صادقا لمعرفه كيف يعيش الناس ، وماذا ياكلون ، ويعتقدون ،وقيمهم ومستواهم التكنولوجى – يعد مؤشراً هامافى معرفه حال المجتمع واعضائه من الناحيه الصحيه
- ان الصحه العامه هى نشاط أجتماعى وثقافى ،فهى تؤدى الى أنجاز الافراد لادوارهم الاجتماعيه داخل البناء الاجتماعى

ولـذلك يقـوم علمـاء الانثروبولوجيـا برسـم وتخطـيط بـرامج الصـحه العامـه ويحتـوى هـذا التخطـيط علـى دراسـه شـامله لمصـادر الثـروه القائمـــه واحـــوال النـــاس الصـــحيه ، ومســـتوى التعلـــيم ، وانمـــاط العائله

ومـن الممكـن ان تكـون الامكانيـات الصـحيه موجـوده غيـر ان النسـق القيمـى يحـول دون أسـتغلالها ففـى جزيـره جـاوه تعتقـدا لمـراه أن السـمك المجفـف ضـار بصـحه الاطفـال ، علـى الـرغم مـن انـه البـروتين الحيـوانى الـرخيص الوحيـد الـذى يمكـن الحصـول عليـه وكـذا المستشـــفيات لاتقدمـــه للمرضـــى معتقـــدين نفـــس الاعتقـــاد وغيـــر السـمك فـى جـاوه ،هنـاك البـيض فـى افريقيـا يعتبـر مـن الاطعمـه المحرمـه علـى النسـاء بـالرغم مـن حـاجتهن الماسـه اليـه وقـد تضـطر المراه تحت الاغراء ان تأكله وتأكل الاطعمه المحرمه

ومـن هنـا وقـف علمـاء التغذيـه فـى افريقيـا ضـد نظـام المحرمـات وقـد تحـتم قواعـد الصـحه العامـه تسـخين المـاء كمـا يبـين الباحـث بيـرو غيـر ان الامكانيـات المحدودهلهـذا المجتمـع تحـول دون ذلـك ومـن ثـم تفشـل حملاتالصـحه ولاشـك أن توصـيات الانثروبولـوجيين ذات اثـر بـالغ فـى نجـاح مثـل هـذة الحمـلات والمشـروعات وفـى التنبيـه علـى المعوقـات التـى لايعرفهـا غيـرهم بالاضـافه الـى هـذه الميـادين الرئيسـيه للانثروبولوجيـا التطبيقيـه ،هنـاك مجـالات اخـرى

فرعيه ، فلقد أفادت كثيراً فى مجال حديث وهو الانثروبولوجيا الطبيه . [1]

١١- **التراث الشعبى** : علماء الأنثروبولوجيا عند دراستهم للتراث الشعبي بشقيه المادي والمعنوي يدرسونه باعتباره جزءا من ثقافة المجتمع التي تنتقل عن طريق التوارث الشفاهي وتعد دراسة التراث الشعبي لأي شعب من الشعوب أمرًا حيويًا في الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية ، إذ تفيد هذه الدراسات في خبر الواقع والكشف عن طبيعته، وكذلك الكشف عن أنماط السلوك الاجتماعي الذي يصدر عن الأفراد عند مواجهتهم مواقف معينة،علاوة على تحليل ديناميات هذا السلوك بهدف إثراء المعرفة السوسيولوجية وتعميقها ودليلا على الإبداع والابتكار لأفراده تعد دراسة التراث الشعبي لأي شعب من الشعوب أمرًا حيويًا في الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية وينظر علماء الأنثروبولوجيا والعلوم الانسانية إلى التراث الشعبي باعتباره يشمل الفنون الشعبية ،الصناعات ،الأدوات التقليدية ، العادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية،الملابس الشعبية، الطب الشعبي ،الرقص والموسيقى الشعبية ،الألعاب الشعبية بالإضافة إلى فنون الأدب الشفاهي التي تشمل الحكايات الشعبية ، قصص الخوارق ، الأساطير ، الأمثال ،الألغاز ، الشعر ،النثر ، والأغانى... [3]

---

[1] **على المكاوى : الانثروبولوجيا الاجتماعيه ودراسه التغير والبناء الاجتماعى .**

[2] انظر الاستا الدكتور عبد الرحيم تمام أبو كريشة :التراث والعولمة دراسة أنثروبولوجية للتراث الشعبي.

[3] فاروق أحمد مصطفى ومرفت العشماوي عثمان: دراسات في التراث الشعبي

الفصل الخامس

مناهج وأدوات البحث فى الانثروبولوجيا

مقدمة

تتقارب موضوعات العلوم الاجتماعية يصاحبة تشابه فى المنهج وطرق البحث ، فبينما تتخصص الانثروبولوجيا الثقافية فى دراسة الثقافة ككل ، نجد أن موضوع الانثروبولوجيا الاجتماعية هو دراسة القطاع الاجتماعي للثقافة او البناء الاجتماعي ، أن موضوع علم الاجتماع هو المجتمع والسلوك الاجتماعي ، وموضوع علم الاقتصاد هو الطرق التى يستخدمها الانسان ليكسب عيشة ، ولاشك أن التداخل بين تلك الموضوعات واضح ، ويتضح بصورة قوية عند القيام بالدراسات الميدانية أى اثناء ملاحظة الواقع الاجتماع ، ولا يقتصر التقارب بين العلوم الاجتماعية على تداخل موضوعاتها وإنما أيضاً تتشابه وتتداخل مناهجها وطرق البحث فيها إذ يشترك كل العلوم الاجتماعية فى تطبيق المنهج العلمي الذى يتلخص فى: دراسة الظاهرة الاجتماعية دراسة موضوعية بحيث تعبر عن حقيقة ما هو كائن بدون تدخل الميول والمصالح الشخصية ٠

١ – دراسة الظاهرة الاجتماعية دراسة دقيقة وكلما استطعنا ترجمة تلك الدقة الى رموز كمية ٠

٢ – دراسة الظاهرة الاجتماعية للوصول فى النهاية الى القانون الذى تخضع له الظاهرة ٠

- والمنهج العلمي في البحث هو إتباع خطوات منطقية معينة في تناول المشكلات أو الظاهرات أو في معالجة القضايا العلمية.
- يمكن القول أن منهج البحث هو أسلوب للتفكير والعمل يعتمده الباحث لتنظيم أفكاره وعرضها وتحليلها للوصول للنتائج المرجوة وتحقيق أهداف البحث .
- يرتبط المنهج المستخدم في البحث العلمي بموضوع ومحتوى وأهداف البحث تحت الدراسة.

ولكن رغم هذا التشابه فى مناهج العلوم الاجتماعية بينما يستخدم كل منها طرق بحث تتفق مع الموضوع التى يتخصص فى دراستها؛ وهكذا نلاحظ أنه بينما تتفق العلوم الاجتماعية فى الموضوع وهو الحياة الاجتماعية فأنها أيضا تتفق فى المنهج المستخدم فى دراسة ذلك الموضوع أى المنهج العلمى.

تتعرض العلوم الاجتماعية لبعض المشاكل فيما يختص بتطبيق المنهج العلمى، وترتب على تلك المشاكل قلة عدد القوانين الاجتماعية التى توصلت إليها بالنسبة للعدد الهائل من القوانين التى وصلت إليها العلوم الطبيعية، وترتب عليها كذالك عدم وصول دقة قوانين العلوم إلى درجة دقة قوانين العلوم الطبيعية وحاول المفكرون تفسير هذا القصور من

جانب العلوم الاجتماعية، فأرجعه بعضهم إلى حداثة العلوم الاجتماعية إذا قورنت بعمر الطبيعة.

ويفسر البعض الأخر هذا القصور على أساس أن الظاهرة الاجتماعية أكثر تعقيدا من الظاهرة الطبيعية .

ولا أدل على إمكانية تطبيق المنهج العلمى على الظواهر الاجتماعية والثقافية

نجاح بعض العلوم الاجتماعية فى الوصول إلى قوانين إجتماعية وثقافية قريبة جدا فى دقتها من القوانين الطبيعية .

١- يعتبر المنهج الوصفي

أحد المناهج المهمة المستخدمة فى البحث العلمي اذ يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد فى الواقع ، تمثلت بدايته من خلال كتابات المؤرخين القدامى والرحالة والمستكشفين الذين سجلوا بعض الصفات والغرائب التى لفتت انظارهم عند زيارتهم للشعوب البدائية او المجتمعات المختلفة قديما وكان القصد منها هو تقديم صورة وصفية لهذة المجتمعات ولكنها على أيه حال مهدت السبيل لقيام نزعة علمية وصفية تحليلية للدراسات الانثروبولوجية . ويسهم المنهج الوصفى فى تقديم وصفاً دقيقاً للظاهرة ويعبر عنها تعبيراً كيفياً فالتعبير الكيفى يصف لنا الظاهرة ويوضح خصائصها أما التعبير الكمي فيعطينا وصفاً رقماً

يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر المختلفة الأخري.

فهو طريقة لدراسة حقائق راهنة متعلقة بظاهرة أو موقف أو أفراد وأحداث أو أوضاع معينة بهدف اكتشاف حقائق جديده أو التحقق من صحة حقائق قديمة وأثارها والعلاقات التى تتصل بها وتفسيرها وكشف الجوانب التى تحكمها

٣ ٦

وبصفة عامة يمكن القول إن البحوث الوصفية تهدف إلي دراسة ووصف وتحليل خصائص وأبعاد ظاهرة من الظواهر في إطار معين يتم من خلاله تجميع المعلومات اللازمة عن الظاهرة وتنظيم هذه البيانات للوصول الى اسبابها ومسبباتها والعوامل التى تتحكم فيها وبالتالى استخلاص نتائج يمكن تعميمها مستقبلاً .

٢. المنهج المقارنة

ان الانثروبولوجيا الاجتماعية دراسة وصفية مقارنة للسلوك الاجتماعي وبالتالي فالانثروبولوجي لا يكتفى بوصف السلوك الاجتماعي والعلاقات والنظم الاجتماعيه وانما يذهب بعيدا الى ما وراء الوصف ، حيث يحلل المعلومات الوصفية لتحديد لانماط العلاقات الاجتماعية وفهم البناء الاجتماعيى ككل، ويستخدم علم الأنثروبولوجيا المقارنه في دراسة الإنسان(Comparative Method) ، فهو أنسب الطرق في دراسة

الأنثروبولوجيا؛ حيث تتم دراسة مقارنة لمجتمعات متعددة في أبنيتها الاجتماعية وثقافاتها

اذاً أساس هذه الطريقة هو عدم الاكتفاء في الحصول على المعلومات والتؤكد منها على دراسة ميدانية واحدة، بل على دراسات ميدانية متعددة ولاشك أن كثرة الدراسات الميدانية فى مجتمع الدراسة تثرى النظرية السوسيولوجية من ناحية وتساعد على توسيع نطاق المقارنه على المستوى الرأسى والافقى من ناحية اخرى ويقصد بالمستوى الرأسى

(زمانى وتاريخى) المقارنه بين ظاهرتين او نظامين اجتماعيين فى مجتمع واحد فى فترتين زمنيتين مختلفتين ومثال ذلك حينما نقارن بين نظام الزواج فى المجتمع المصرى فى العصر المملوكى والعصر التركى على حين يتمثل النوع الثانى من المقارنة فى المستوى الافقى

(المكانى – الجغرافى) حيث نقارن مثلا بين نظام القرابة فى مصر ونظيره فى الهند ، وعلي هذا الاساس فان كل دراسة جديدة لمجتمع ما توسع من مجال المقارنة ، اما الدراسات الوصفية التى قدمها الرحالة والمبشرون والصحفيون وغيرهم من الهواه لا، فهي لا تصلح للمقارنة .

<u>وباستخدام هذه الطريقة يتمكن الباحث من</u> أ. يفهم البناء الاجتماعي كله وليس جزء منه.

ب. يكشف عن الوظائف الاجتماعية التي تؤديها النظم الاجتماعية.

ج. الكشف عن التأثيرات المتبادلة بين النظم الاجتماعية.

وإذا تمكن الباحث من فهم تلك الوظائف الثلاث بالنسبة لمجتمع واحد بعينه، يتمكن بعد ذلك مقارنة تلك الوظائف بمثيلاتها في مجتمعات أخرى .

يميل بعض الأنثروبولوجيون وخاصة المتخصصين فى الانثروبولوجيا الاجتماعية إلى تركيز دراستهم الميدانية فى مجتمع واحد أو عدد قليل من المجتمعات ويعرف هذا الاتجاه "بتقليد مالينوفسكي" ويتلخص فى التخصص فى مجتمع واحد او ثلاثة مجتمعات على الاكثر . وأكد الباحث مالينوفسكي بأنه لا يمكن فهم الحياة الاجتماعية لدى شعب من الشعوب البدائية إلا إذا درست دراسة عميقة ومركزة. وقد نفذ مالينوفسكي تأكيده هذا عندما درس قبائل "التروبرياند" إحدى قبائل شرق آسيا الكبيرة، بمنطقة ميلانيزيا دراسة مطولة استغرقت أربع سنوات، وكان أول من استخدم لغة الأهالي في جمع المعلومات. وقد أتاحت له هذه المدة الطويلة فرصة التعمق والتغلغل في الحياة الاجتماعية لتلك القبائل ووضع عنها عدة مؤلفات تدور كلها حول ثقافتهم ولاشك أن تقليد مالينوفسكي يتعارض بعض الشئ مع اتجاه إجراء المقارنات بين الأبنية الاجتماعية للمجتمعات المختلفة لأنه يركز اهتمام العالم بمجتمع معين ويؤدي الى قلة عدد الدراسات مما يعرقل

المقارنات ، وقد لاحظ العلامة (برتشارد) تلك المشكلة ونادي بتطبيق نوعا من المقارنة أطلق علية اصطلاح المنهج التجريبى .

٣. المنهج التجريبي

وفقاً لهذا المنهج لا يكتفى الباحث بوصف الظاهرة موضع الدراسة بل لابد من القيام بتجربة علمية وفق شروط معينة يتحكم فيها الباحث ، ويُحكم إجراء التجربة العملية ، ويتلخص فى أن يقوم كل أنثروبولوجي باستنتاج عدة نتائج من دراسته العميقة لمجتمع واحد ، ثم يقوم نفس الباحث او باحث اخر بالتحقق من صحة وواقعية تلك النتائج بالنسبة لمجتمعات أخرى ، وهكذا تتسع دائرة فحص تلك النتائج بالنسبة لمجتمعات أخري وهي فى الحقيقة لا تخرج عن كونها فروض، وتصبح تلك الفروض فى النهاية قوانين أو مبادئ عامة، ومن العلماء الذين طبقوا هذه الطريقة العلامة "شنيدر" عندما فحص النتائج التى توصل إليها العلامة "برتشارد" فى دراسته لقبائل النوير عن طريق تطبيقها على قبائل "الزولوا" [٣] [٩] .

٣-طريقة المنهج الاثنوجرافي Ethnoghraphic Resaareh:

هذا المنهج من أشهر المناهج المستخدمة في الحصول على معلومات علمية دقيقة حول الظاهرة المدروسة. المبدأ العام المبني عليه هذا المنهج هو أن الباحث يحصل على المعلومات والبيانات حول

الظاهرة الأجتماعية التي يريد دراستها من واقع الميدان ذاته. فقد بدأ الباحثون من تحديد مجال البحث بدقة وعناية، وتحديد الظاهرة بكل تفاصيلها ودقائقها، وبكل موضوعية وتجرد. ثم أن الباحثين ارتحلوا إلى النظم الأجتماعية المراد دراستها، وعاشوا بين أفرادها لمدة لا تقل عن سنة، بحيث يتمكن الباحث من إتقان لغة ذلك وفهم دقائق علاقاته وعاداته وتقاليده ومعتقداته وشعائره، وكل ما يتصل بنظام حياته. وهذا ما أطلق عليه بطريقة البحث الحقلي (field Research).

وتعتمد الدراسة الأثنوجرافيه على ما يسمى بالملاحظة العلمية (scientific observation) وهذا النوع من المنهج على ثلاث أقسام: (الملاحظة المباشرة: - الملاحظة غير المباشرة- الملاحظة بالمشاركة)

ثالثاً- أدوات البحث الأنثربولوجي الميداني

إنّ أهمّ إسهامات الأنثروبولوجيا يتمثّل في منهجها البحثي ، فالدراسة الميدانية (الحقلية) تتطلّب ماهو أكثر من وجود الباحث ومراقبته السلبية لما هم عليه الناس وذلك ، لأنّ الباحث يحتاج غالباً في ملاحظته ، إلى التحرّي عن أكثر ما يظهر في أوّل الملاحظة، والإطار المرجعي (النظري) يمدّه بمجموعة من التساؤلات والموضوعات، وعندما يشاهد واقعة ما، يحاول أن يكتشف العلاقة بينها وبين الإطار المرجعي كلّه .

ويعتمد الانثروبولوجيون على تطبيق المنهج العلمي بجميع عناصره معتمدين على طرق بحث معينه أهمها : الملاحظه بالمشاركه أو المعايشة وترجع هذه الوسيلة في الانثروبولوجيا إلى مالينوفسكى.

تختلف وسائل كلّ طريقة وفائدتها عن الأخرى، باختلاف الوضع الذي يجد الباحث نفسه فيه، وباختلاف نمط الثقافة التي يدرسها، أو اختلاف المشكلة الخاصة التي يدرسها .

وقد أقرّ علماء الأنثروبولوجيا بعض الطرائق الميدانية التي يمكن اعتبارها أيضاً أدوات عمل فاعلة في العمل الميداني، ومنها :

١- الملاحظة المباشرة: Monography:

وهي طريقة علمية مباشرة للوصول إلى المعلومات الدقيقة حول الظاهرة المدروسة. وهي تهتم بدراسة المجتمعات البدائية من حيث عناصرها. العرقية أو السلالية، وأصولها الثقافية، ودياناتها وطقوسها وقيمها وتقاليدها.

والباحث يجب أن تتوفر فيه شروط:

- يجب أن يتدرب تدريباً دقيقاً على أساليب التفكير العلمي، والتي يجعل منه باحثاً محايداً هدفه الوصول إلى الحقيقة العلمية واكتشاف القوانين الدقيقة التي تحكم العلاقات الأجتماعية.

- يجب أن يكون دقيق الملاحظة، ويتحلى بالصبر وعدم التعجل في استنتاج النتائج.
- عليه أن يتعلم أفرادها وفهم نظام العاطفة الممزوج بنظام التخاطب، وبفكر بمثل ما يفكرون.
- إذا لم يتمكن من إتقان اللغة لضيق الوقت، أو لقلة الأمكانات، عليه أن يتخذ وسيطاً، أو مرشداً من أعضاء مجتمع الدراسة تتوفر فيه شروط الدقة والموضوعية والأمانه في نقل المعلومات والترجمة.
- على الباحث أن يسجل المعلومات فور الحصول عليها حتى لا تتعرض للنسيان أو الخطأ.
- على أن يستعين بكافة الوسائل التي تعيينه على الحصول على المعلومات الدقيقة في ذات الموضوع الذاتي يبحث فيه، قبل آلات التصوير، وآلات تسجيل الأصوات والخرائط الجغرافية والبيانية، والاستفادة من أحدث الوسائل العلمية في جمع البيانات وتصنيفها وجدولتها. أن يتم جمع البيانات بطريقة تلقائية لا تشعر الآخرين بأنهم مراقبين أو مقصودين، مثل المشاركة في الأحاديث العابرة، أو في بعض الشعائر والمراسم والعادات
- بعد حصول الباحث على المعلومات والبيانات التي يحتاجها في دراسته يقوم بتبويبها وتصنيفها إلى مجموعات متجانسة، وفي شكل

تكرارات، إحصائية، تفيد في الوصول إلى استنتاجات محددة. حيث يتمكن الباحث الأنثروبولوجي بهذه الطريقة أن يصنف بعض النظم الأجتماعية إلى أنماط محددة، كتصنيفهم على أساس نوع القرابة العائلية، أو الدينية، أو المنافع الاقتصادية، أو نظام الحقوق والواجبات، أو المراكز الاجتماعية للأفراد...إلخ.

٢- الملاحظة غير المباشرة:

يعتمد هذا الأسلوب الأثنوجرافي على جميع المعلومات والحصول عليها من خلال مصادر أخرى كالرجوع إلى آراء ومؤلفات الباحثين والدارسين السابقين أو المعاصرين، أو الاعتماد على ملاحظات ومشاهدات الرحالة والمسافرين، أي اعتماد الباحث على المصادر والوثائق والرواية التي تكون ذات علاقة بموضوع الدراسة. وفي هذه الحالة يجب أن يعتمد الباحث على شروط منها:

أ. تدقيق الباحث في المصادر والإحاطة بها.

ب. فهم الباحث ما تحتويه تلك المصادر من معلومات.

ج. استبعاد المصادر والمعلومات التي يعتريها الشك.

د. الابتعاد عن المعلومات التي تأتي من غير المتخصصين في موضوع الدراسة.

وأن المصادر، أو المعلومات التي يمكن أن يستفيد منها الباحث في هذه الطريقة على أنواع كثيرة منها:

أ. المصادر أو المعلومات المكتوبة، أو المروية بالتواتر.

ب. المعلومات التي يمكن استنباطها من الأساطير أو الفولكلور الشعبي كالأغاني والموسيقى والقصص والأمثلة التقليدية وروايات البطولات التي يتناقلها أفراد المجتمع وما ينسج حولها من أساطير.

ج. العادات التقليدية والمعتقدات الشائعة بين الناس، وكذلك آداب السلوك التي يراعيها أفراد المجتمع.

٣.الملاحظة بالمشاركة :

وهى طريقة بالغة الاهمية فى الدراسات الانثربولوجية اذ انها تضفى عليها طابعا خاصا يميزها عن دراسات العلوم الاجتماعية الاخرى ٠ وتعتمد هذه الطريقة على قاعدة اساسية تتمثل فى ضرورة ان يعيش الباحث وسط المجتمع الذى يدرسه ويعايشة معايشة كاملة ٠ ويندمج فى نسيجة حتى يصبح عضوا فيه ويحظى من المجتمع بالقبول والترحيب ، ولكي يتحقق هذا الوضع فلابد أن يضطلع الباحث بدور ما

فـى هـذا المجتمـع ليـتمكن مـن ملاحظـة السـلوك اليـومي بشـكل تلقـائي وبـلا تكلف

تــتلخص فــى أن يشــارك الباحــث فــى الأنشــطة الاجتماعيــة للمجتمــع المــدروس حيــث ان الباحــث فــي بدايــة دراســته الميدانيــه يواجــه مشــكلة الـدور الـذي يجـب أن يؤديـه فـي مجتمـع الدراسـة للحصـول علـى البيانـات والمعلومات الصحيحه.

حيـث ان وجـود الباحـث فـي عشـيرة أو قبيلـة مـا تـدفع الافـراد موضـع الملاحظــه إلــى تغييــر ســلوكهم العــادى أو إلــى الإدلاء بــاقوال لاتعبــر عــن الواقــع، أو خــداع الباحــث وذلــك لشــعورهم بــانهم خاضــعون لملاحظــة غيـرهم وللخـروج مـن هـذه المشـكلة ، ولـذلك وجـب علـى الباحـث ان يقـوم بـدور مـا فـي المجتمـع حتـى يقبلـه افـراد المجتمـع وكأنـه احـدهم وبالتـالى يكتسـب ثقـتهم ويبـدد الشـكوك حـول مهمتـه وإبعـاد شـعور العـداء لـديهم فيجمـع المعلومـات الصـحيحه ،وهكـذا يـذهب الأنثروبولـوجى الـى المجتمـع الــذى يدرســه ليعــيش فيــه فتــرة كــأن يمــارس الباحــث بعــض الطقــوس الدينيــة أو الاجتماعيــة، أو يقــوم بــبعض الأعمــال التــي تعــدّ مــن النشــاط اليـومي للجماعـة، وتعلـم اسـلوب الحيـاة الجديـدة ، ويسـتخدم نفـس لغـتهم وتصــوراتهم ومفــاهيمهم فــى تفكيــرة ويعتنــق قــيمهم ، ويعمــل معهــم

ويشاركهم طعامهم ، واحتفالاتهم وارتداء ملابسهم . ويدخل فى بعض الاحيان كعضو فى جمعياتهم اذا سمحت النظم الاجتماعية بذلك وعليه طوال تلك الفترة أن يكتب تقريرات يومية عن كل صغيرة وكبيرة تقابلة ملتزمًا بالموضوعية وعندما تتضح له فكرة عامه عن اسلوب المعيشة فى المجتمع يبدأ فى عملية التحليل وكشف عناصر البناء الاجتماعى حتى تصبح دراسته مفهومه على مستوى التحليل الاجتماعى ، وهو هنا لايكتفى بمجرد السرد الوصفى للحياة الاجتماعية فى مجتمع دراسته وانما يحاول الكشف عن الترتيب البنائي الذي يكمن تحتها اي يكشف عن النماذج والانماط التى تمكنه من ملاحظة البناء الاجتماعي ككل مترابط الاجزاء ولا يمنع من التركيز فى الدراسة على نظام اجتماعي مثل نظام الزواج او النظام الاقتصادي او النظام القرابي ... [١]

يعد مجتمع البحث عينة شاملة ويكون كل فرد في المجتمع مصدرا للمعلومات مما يتيح المجال الحصول على معلومات أكثر دقة وشمولية. ولا يقتنع الأنثروبولوجى بملاحظة وصف ثقافة مجتمع ما وإنما يحاول الكشف عن الترتيب البنائى الذى يكمن تحتها أى أن يكشف عن النماذج والأنماط التى تمكنه من ملاحظة الثقافة ككل مترابط الأجزاء ويعرف ذلك الأسلوب بالطريقة الكلية وهى إحدى الخصائص الرئيسية فى منهج الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية . [٢]

تحتاج هذه الطريقة، إلى أن يكون الباحث ملمّاً بأهداف بحثه وبطبيعة المجموعة المدروسة. وأن يتمتّع بقدر كبير من الاهتمام والوعي، بأبعاد الظاهرة التي يقوم بدراستها، وكيفيّة رصد هذه الأبعاد بدقّة وموضوعية، حيث يتوقّف على ذلك صدق المعلومات، وفائدتها العلميّة .

* يفضل بعض الباحثين اللجوء إلى الآعتماد على وسيلة الملاحظة بالمشاركة وذلك لميزاتها التالية:

- إمكانية الحصول على معلومات وفيرة عن مجتمع الدراسة.
- تكوين صورة واقعية للظاهر الملاحظة.
- الوصول إلى تحليل عميق وتفسير أكثر دقة.
- تتيح إمكلانية استخدام الحواس الخمس في في جمع الحقائق.
- الملاحظ هو الذي يقرر ويحدد المعلومات وليس المبحوث.
- تصلح لجمع المعلومات ممن لا يعرفون القراءة والكتابة مثل المجتمعات البدائية .

*حدد العلامة(ايفانز بريتشارد) شروط نجاح عملية الملاحظه بالمشاركه في الانثرووبولوجيا الاجتماعية في الاتى :

١. ان تسبقها مرحلة تخصص ودراسة نظرية كافيه في الانثروربولوجيا عامة وعلم الاجتماع خاصة قبل الدراسة الميدانيه وتطبيق الملاحظه بالمشاركه.

٢. ان يقضى الباحث فترة كافيه في مشاركة افراد المجتمع موضوع الدراسة في معيشتهم ويجب الا تقل الفترة عن عام ولاشك أن تحديد الفترة الكافيه يرتبط بعوامل متعدده مثل "حجم المجتمع وطبيعة المشكلة المراد دراستها.

٣. ان يكون الباحث طوال فترة الملاحظه على صلة وثيقة بالاهالى عن طريق اشتراكه في معظم جوانب حياتهم الاجتماعية.

٤. ان يستخدم الباحث في حديثه مع افراد مجتمع الدراسة لغتهم الأصلية .

٥. ان يدرس الباحث جوانب الحياة الاجتماعية كلها لفهم البناء الاجتماعى وتحديد وظائفه.

٦. لابد من توفر نوع معين من الشخصية فبعض الناس لايستطيعون تحمل مشاق العزلة عن وطنهم الاصلى فغالبا تكون

الحيـاة فـي مجتمـع الدراسـة قاسـية كـالظروف غيـر الصـحية فـي المجتمعات البدائيه مثلا.

٧. ان يتخلـى الباحـث عـن قيمـه وثقافتـه بقـدر المسـتطاع حتـى يـتمكن من تحقيق الملاحظه الموضوعيه.

٢.المقابلة : interveiw

وهـى طريقـة منهجيـة بالغـة الاهميـة يعتمـد عليهـا الانثروبولـوجى والجـدير بالـذكر ان الانثروبولـوجى الاجتمـاعى يعتمـد علـى المقابلـه بالاضـافه الـى أعتمـاده علـى الملاحظـه المشـاركه – حيـث يلتقـى مـع بعـض افـراد المجتمـع الـذين يتمتعـون بسـمعه طيبـه ، ويحـاول فـى ا لمقـابلات الاولـى أن يكسـب ثقـتهم، وبعـد ذلـك يوجـه الـيهم الاسـئله ، ويتـيح لهـم فرصـه الاجابـه المستفيضـه كمـا يحـاول أيضـا ان يشـجعهم بكلمـه أو أشـاره تزيـد حماسـهم فـى الاسترسـال حـول الموضـوع الـذى يدرسـه والباحـث فـى هـذة الحـالات ينبغـى عليـه تـدعيم الثقـه بالاخبـاريين حتـى يسـمحوا لـه بتـدوين تلـك المعلومـات أو تسـجيلها بالوسـائل الصـوتيه والمرئيـه فـاذا لـم يكـن قـد أكتسـب ثقـتهم بعـد ،فيمكنـه تـدوين النقـاط الاساسـيه بطريقـه لاتثيـر الشـك وفـى بعـض الاحيـان لايكتـب الباحـث ايـه معلومـه أثنـاء المقابلـه وانمـا

يحتفظ بكل ما سمعه الى ما بعد أنتهاءها فيكتبه قبل ان تخونه الذاكره وينساه

وتتلخص أهميه هذة الطريقه فى انها تتيح فرصه أظهار سمات شخصيه الافراد واعطاء معلومات تفصيليه عن الموضوعات التى تدور حولها الاسئله ، والواقع ان المقابلة تتيح للباحث ان يقترب اشدّ الاقتراب من الجماعات التى يتصل بها فى اثناء قيامه بدراسة احد النظم او الظواهر الاجتماعي ولكن هذا الاقتراب رهين بمدى تقبل المجتمع للباحث . ولذلك يميل بعض الانثروبولوجيين فى الوقت الراهن الى تعلم اللهجة العامية التى تسود المجتمع المراد دراسته ويعتبر هذا التعليم والتدريب ضروريا بالنسبة لاجراء البحث واكثر ضرورة عند كتابة هذه اللهجة . وفى هذه الحالة يحصّل الانثروبولوجى على المادة العلمية شفاهة من الاخباريين والتقارير التى يسجلها فى اثناء المقابلات او المناقشات الخاصة والمذكرات المختصرة التى يدونها فى وجودة فى موقف اجتماعى خاص او اثناء مشاهدة حدث معين ٠

والباحث فى هذه الحالات ينبغى عليه تدعيم ثقته بالاخباريين حتى يسمحوا له بتدوين تلك المعلومات او تسجيلها بالوسائل الصوتية والمرئية . فاذا لم يكن قد اكتسب ثقتهم بعد فيمكنه تدوين النقاط الاساسية بطريقة لا تثير الشك وفى بعض الاحيان لا يكتب الباحث ايه معلومات اثناء

المقابلة وانما يحتفظ بكل ما سمعه الى ما بعد انتهائها فيكتبه قبل ان تخونه الذاكرة وينساه .

والجدير بالذكر ان الانثروبولوجى الاجتماعى يعتمد على المقابلة بالاضافة الى اعتمادة على الملاحظه المشاركة حيث يلتقى مع بعض افراد المجتمع الذين يتمتعون بسمعه طيبه ويحاول فى المقابلات الاولى ان يكسب ثقتهم وبعد ذلك يوجه اليهم الاسئلة ويتيح لهم فرصة الاجابة المستفيضه كما يحاول ايضا ان يشجعهم بكلمة او اشارة تزيد حماسهم فى الاسترسال حول الموضوع الذى يدرسه .

<u>هناك نوعين للمقابلة</u>

أ.المقابلة الموجهة: وهي طريقة يقوم على إعداد استمارة مبنية من عدد من الأسئلة وتصاغ الأسئلة بدقة، وتكون مفاهيمها مرتبطة بصورة مباشرة بموضوع الدراسة وتشتمل على عدة إجابات محتملة ، ويسهل تفريغها في جداول. ويقوم الباحث بقراءة الأسئلة أمام الشخص المراد مقابلته، ويترك له حرية الأجابة عن تلك الأسئلة، ويقوم الباحث بتسجيل الأجابات وفقاً لبنود الأستمارة سلباً أو إيجاباً أو احتمالاً ، ويلاحظ قراءة الأسئلة يجب أن تتم بصورة محايدة بحيث لا تؤثر على اجابات المستمع وتستخدم تلك الطريقة فى ابحاث علم الاجتماع ، ولكنها غير منتشرة فى الدراسات الأنثروبولوجية ويرجع السبب فى ذلك الى أن استخدام طريقة المقابلة تثير شكوك الفرد لعدم تعوده على تلك

الطريقة الرسمية في الحديث وخاصة أنه في الغالب لا يعرف القراءة والكتابة ولم يحدث أن قابلة أحد وأخذ يسجل أقوالة ، ولذلك لا يستخدمها الأنثروبولوجيون إلا في المجتمعات المتدنية وبجانب طريقة الملاحظة بالاشتراك وطريقة المقابلة غير الموجهه

وهي طريقة أكثر ما يستخدم في المجتمعات المتحضرة والمتمدنة.

ولا يمكن استخدامها في المجتمعات البدائية لعدم وعيها ودرايتها بأهمية المعلومات التي لديهم ولشكوكهم حيال مثل هذه الدراسات.

ب.المقابلة غير الموجهة : قوام هذه الطريقة يعتبر على مقابلة بعض أفراد المجتمع بالذات الأفراد البارزين والقياديين الذين يتمتعون بسمعة طيبة بين أفراد المجتمع المدروس. والباحث هنا عند اختياره مثل هذه الشخصيات يحاول أن يكتسب ثقتهم وتكون بينه وبينهم علاقات طيبة تجعلهم يفتحون قلوبهم له، ويوفرون له الحقائق والمعلومات الصحيحة والدقيقة غير المزيفة. مثل هؤلاء يعتبرون بالنسبة للباحث إخباريون. إذ يتيح لهم الباحث فرصة الإجابات المطولة عن التساؤلات التي يطرحها دون توجيه أو تدخل. وعندما يتنقلون في الحديث من موضوع إلى آخر عليه أن لا يحاول إيقافهم أو قطع حديثهم، بل يشجعهم على ذلك ويدعوهم للاسترسال في الحديث الذي يهم الباحث وبطريقة لبقة.

الباحث هنا وبكل حذر وبدون تصرف يثير الشك والريبة، عليه أن يدون كل ما يسمعه أو تسجيلها بالآلات الحديثة. وإذا كان هناك من ممانعة في التسجيل على الباحث أخذ النقاط الأساسية والخطوط العريضة، ثم يدون التفصيلات بعد الانتهاء من المقابلة مباشرة. هذه الطريقة مفيدة لأنها تظهر خصائص الأفراد الشخصية وسماتهم الذاتية، من خلال إعطائهم معلومات تفصيلية عن الموضوعات التي تدور حولها الأسئلة.

وتتلخص أهمية هذه الطريقة فى أنها تتيح فرصة إظهار سمات شخصية الأفراد وإعطاء معلومات تفصيلية عن الموضوعات التى تدور حولها الأسئلة ولا توجد تلك المميزات فى طريقة المقابلة الموجهة .

١- تاريخ الحياه life history[١] : يستخدم كثير من الانثروبولوجين الاجتماعيين هذة الطريقه المنهجيه فى اثناء الدراسه الميدانيه ، وتتلخص فى تدوين أهم الاحداث التى تمر فى حياه بعض أفراد مجتمع الدراسه .وعلى الاخبارى أن يقص على الباحث تاريخ حياته منذ الصغر الى اللحظه التى يتحدث فيها والواقع أن أستجابه الاخبارى للباحث بهذا الشكل لايمكن ان تتحقق الا بعد تبادل الثقه بينهما وتدعيم العلاقه حيث تسمح للاخبار بأن يبوح بكل الاحداث والظروف والوقائع التى مرت به ومر بها ، وكان لها

[١] انظر الاستاذ الدكتور على المكاوى :الانثروبولوجيا الاجتماعيه ودراسه التغير والبناء الاجتماعى .

الاثر فى توجيخ حياته وجهتها الحاليه أضف الى ذلك أن هذة النظريه المنهجيه يمكن ان تفيد الباحث فى التعرف على أهم الاحداث التى مرت بالمجتمع الذى يدرسه واثرت فى الظاهره أو النظام الاجتماعى موضوع الدراسه ومن الواضح أن تبادل الثقه كما قلنا يضفى على المعلومات المقدمه صفه الموضوعيه ، ويساعد على ذكر كل المعلومات المطلوبه وعدم أخفائها الا ان الحس التاريخى وذاكره الكبار ، غالبا ما تخونهم فلا يستطيعون أن يتذكروا المعلومات القديمه أو يسترجعونها ، وقد يدلون لتغطيه نسيانهم وصعوبه أسترجاع الصوره الكامله للموقف او الحدث بمعلومات غير مؤكدة وهنا ينبغى على الباحث أن يتاكد من صحه هذة المعلومات من خلال الرجوع الى أكثر من أخبارى ، والاعتماد على السجلات والوثائق التاريخيه أن وجدت والمقارنه بين ما ادلى به الاخباريون ، والوصول بالتالى الى الصوره شبه الصحيحه أو الصحيحه

٣. ادوات مساعدة يستخدمها الانثروبولوجى :

ومن الادوات المساعدة التى يستخدمها الانثروبولوجى اثناء دراسته الميدانية وجمع مادته الحقلية ما يلى : السجلات والوثائق والتقارير المنشورة واجهزة التسجيل الصوتى "المسجلات " والتسجيل المرئى والات التصوير.

ولاشك فى ان السجلات والوثائق والتقارير المنشورة تفيد الباحث فى بحثة . فهي إحدي الأدوات والمصادر التى تزود الباحث بالمعلومات والمعطيات اللازمه أثناء انجاز الابحاث والدراسات ، فيعمل الباحث من أجل الحصول علي بعض الوثائق التى لها صلة بالموضوع من خلال ما تقدمة له من معلومات من الظاهرة أو النظام الاجتماعى الذى يدرسه . وتتيح له هذه المادة المكتوبة فرصة اجراء المقارنات بين الظاهرة او النظام موضوع البحث فى فترات زمنية مختلفة (مقارنة رأسية) للتعرف على اوجة الثبات ومعالم التغير ومحاولة البحث عن العوامل الفاعلة وراء ذلك ٠ اما اجهزة التسجيل بنوعيها المسموع والمرئى فهى تسجل لواقع حى ينبض بالحركة والحيوية والاحتفاظ بها مدة طويلة مما ييسر فى المستقبل اجراء المقارنات بينها وبين دراسات اخرى احدث منها للوقوف على ما طرأ عليها من تغيرات .

ولابد من الاشارة الى ان هذه الادوات التكنولوجية الحديثة ليس من السهل استخدامها فى البحوث الانثروبولوجية نظرا لتحفظ بعض الاخباريين على استخدامها – شكا فى الباحث توجسا لخيفة منه او جهلا يفرضه او نفورا منه.. وبالتالى ينبغى ارجاء الاعتماد عليها حتى تتضح اغراض البحث ويقدم الباحث نفسه لمجتمع الدراسة ويتفهم اعضاؤه موقفه ويدعم الثقة بينه وبينهم ويبسط يدة اليهم بالألفة

والمـودة وحينئـذ فقـط يمكـن لـه الاعتمـاد علـى هـذه الادوات واسـتخدامها فـى جمع المادة الميدانية .

ثالثا : المشكلات التى يواجهها الباحث الميداني :

لا شك فى أن البحث الأنثروبولوجيى تحيطه الصعاب ، وتغلفة المشكلات العديده وقد ترجع هذه الصعاب والمشكلات الى طبيعة موضوع البحث نفسه ، أو الى طبيعة المجتمع المدروس ، او لأى شخصة الأنثروبولوجي وطريقته فى التعامل مع أبناء مجتمع الدراسة وعلاقته بهم .

١- بالنسبة لموضوع البحث : قد يكون موضوع البحث عسيراً فى بداية تناوله ، وقد لا تتوفر عنه المادة العلمية المكتوبة ، وحاجة العمل الميدانى إلى الوقت الطويل الذى لا يقل بأى حال من الأحوال عن عام بالكامل. وقد يستلزم ذلك تناوله الإقامة الكاملة فى مجتمع البحث، حيث يترك الأنثروبولوجى أسرته وأهله ووطنه ، ويتفرغ تماماً للبحث ، يعانى مشكلات الإقامة والتكيف مع أفراد المجتمع وثقافتهم.

٢- وتمثل طبيعة المجتمع موضع البحث صعوبة فى فقد يكون مناخه غير مألوف ، وقد تكون ثقافته المنغلقة، فقد تكون لغتهم غير مكتوبة ويصعب تعلمها وقد تكون تضاريس البيئة فى المجتمع من الوعورة

بحيث تجعله عاجز عن التنقل بين ربوع المجتمع المدروس ، حيث يصعب الانتقال نظرا لقسوة البيئة او لقلة وسائل المواصلات.

٣- ومن ناحية أخرى المعرفة المحدودة بلغة المبحوثين فقد تكون اللغة المستخدمة غير مكتوبة وبالتالي يصعب فهمها الا من خلال المعايشة.

والجانب الثالث للمكشله يتعلق بالانثروبولوجي ذاته ومقومات شخصيته وطريقه تعامله مع ابناء المجتمع الذى يدرسه والواقع ان هذا الجانب المشكل باتى فى النهايه لان المفترض والواقع أن الانثروبولوجي مؤهل تأهيلا علميا وعملياً على البحوث الميدانيه .ولكننا نتناول الجانب من زاويه الانثروبولوجيين يشتركون جميعا فى نوع من المعرفه بيد انهم كغيرهم من الناس يختلفون فيما بينهم فى امور تتعلق بنوع التجارب والخبرة والتكوين الشخصى فشخصيه الانثروبولوجي تؤثر بالضروره فى عمله كما تؤثر شخصيه المؤرخ فى عمله سواء بسواء فالدراسه الانثروبولوجيه ليست وصفا دقيقاً وامينا للحياه الاجتماعيه فى مجتمع معين ، وانما هى فى نفس الوقت أنعكاس لشخصيه صاحبها

نفسه .ومن هنا كانت بعض نتائج الدراسهتتوقف على العناصر الذاتيه التى يدخلها الباحث فى دراسته ، كالاحكام الخلقيه الا ان هذة المشكلات التى ترجع الى المقومات الشخصيه للباحثين تميل الى ان تصحح بعضها بعضا وعلى ذلك فليس ثمه مايدعو الى الخوف او القلق على قيمه الدراسات الانثروبولوجي ، وصدق نتائجها ، على حد تعبير أيفانز بريتشارد نفسه

رابعا : مشكلات تواجه الانثروبولوجي عند كتابه التقرير : [1]

تبدأ المشكلات التى تواجه الانثروبولوجي ، عند كتابه تقريره منذ اللحظه الاولى التى طفق فيها يدون تقاريره اليوميه وهنا نقف عند هذة النقطه للاشاره الى بعض الملاحظات البسيطه حول أسلوب التدوين ووقته المناسب ومكانه المفضل ..ولاشك فى أن افضل الظروف لتسجيل المعلومات الميدانيه ، هى تسجيلها فى نفس مكان الحادث واثناء حدوثه ففى هذة الحاله يتجنب الانثروبولوجي الاجتماعى التحيز لمعلومات على حسابل معلومات أخرى ،بمعنى أنه يسجل كل المعلومات التى تدور حول الحادث الذى وقفت عليه حواسه

[1] على المكاوى : الانثروبولوجيا الاجتماعيه ودراسه التغير والبناء الاجتماعى .

ومن ناحيه أخرى: يتحاشى دور ضعف الذاكره حينما يدون التفاصيل التى راها ولاحظها وبالتالى لايجهد ذاكرته فى أسترجاع التفاصيل بعد فوات الاوان

الا انه فى كثير من المواقف تكون عمليه التدوين للمعلومات فى اثناء ملاحظه الظاهره ، أمراً غير ممكن ، أو مثاراً للشكوك بين مجتمع البحث و أو باعثاً للتصنع فى السلوك وابعاده عن طبيعته التلقائيهومن ثم تتشوه الصوره الطبيعيه للظاهره وبالاضافه الى ماسبق فان قيام الانثروبولوجي بالملاحظه ، وتسجيل المعلومات الميدانيه فى نفس الوقت يؤدى غالبا الى عدم دقه الملاحظه، حيث يحول التدوين دون التركيز والتعمق فى أستخدامها وكلما يحاول الباحث تسجيل معلومه ، فانه ينشغل عن ملاحظه الظاهره او الحدث ويغفل عن أستقراء الملامح والتعبيرات الحركيه واللفظيه والرموز والاشارات التى يبديها أعضاء مجتمع الدراسه ، وتكون لها دلاله فى فهم الظاره او الحدث ككل .ولذلك ساد الاتفاق على ضروره تدوين كل المعلومات فى اقرب فرصه متاحه بعد الملاحظه المباشره ، كما يجب ان يكون التسجيل بصوره يوميه على الاقل ، وان يشمل تقريراً مطولا عن حوادث ومشاهدات اليوم بكامله

وهنـاك موقـف وسـط يفيـد الباحـث فـى الجمـع بـين الملاحظـه الميدانيـه للظـاهرة أو الحـدث وبـين التـدوين ، ويتمثـل هـذا الموقـف فـى تسـجيل النقـاط الهامـه أو رؤوس الموضـوعات ، أو مـا يـذكر الباحـث حـول الظـاهرة لحظـه حـدوثها، لاسـيما وان هـذا التسـجيل لـن يسـتغرق دقيقـه كمـا أنـه يـتم علـى قصاصـه ورق صـغيره يحملهـا الباحـث فـى جيبـه .وبالتـالى فلـن تشـغله فـى طيهـا أو تجهيزهـا للكتابـه ...ومـن جانـب اخـر يمكـن للانثروبولـوجى ان ينـتحلاى عـذر بعـد حـدوث الظـاهره مباشـره ليعـود سـريعا الـى مسـكنه أو الـى أى مكـان يخلـص فيـه الـى نفسـه بعيـداً عـن الافـراد – ويسـجل تفاصـيل الحـدث كاملـه ، وحينمـا يكتـب تقريـره النهـائى فانـه يحللهـا ويتاملهـا ويتحاور معها على مستوى النظريه

ومـن جانـب اخـر ، يجـد الانثروبولـوجى لزامـا عليـه ان يصـنف مذاكرتـه اليوميـه ، حسـب فهـرس يتكـون مـن الموضـوعات الاساسـيه التـى يدرسـها وبالتـالى يخصـص مكانـا واحـد للموضـوع الواحـد ، وهكـذا وتظـر أهميـه التسـجيل والتصـنيف حينمـا نعـرف ان العمـل الميـدانى والملاحظـات والتعليقـات والشـروح والتفسـيرات التـى يكتبهـا الباحـث يوميـا تتـراكم علـى مـدى فتـره عـامين أو ثلاثـه لتصـبح الافـا مـن الاوراق ومئـات مـن الموضوعات الخاصه والعناوين الرئيسه

أمـا مـن ناحيـه كتابـه التقريـر النهـائى للبحـث ، فـان الدراسـات الانثروبولوجيـه الحديثـه لـم تعتمـد علـى تفسـير ثقافـه معينـه بـالرجوع الـى

ثقافه اخرى كما تجاوزت مرحله الوصف الخالص للحياه الاجتماعيه عند شعب من الشعوب البسيطه

انما صارت المجرسه الحقليه الحديثه تهدف الى الوصف التحليلى الكامل للنظام الاجتماعى أو الظارهة الاجتماعيه وبكل يبرز الملامح الهامه فى الحياه الاجتماعيه ، مما يتيح فهم هذة الحياه ، والوصول بالتالى الى قضايا عامه تشكل نظريات فى المراحل اللاحقه وفى ضوء هذة الاتجاهات الانثروبولوجيه الحديثه بدات الملاحظات

والمذكرات التى يدونها الانثروبولوجي – فى دراسته – الميدانيه – تصاغ بشكل يلقى الضوء على مشكله تتعلق باحد مظاهر الثقافه أو احد النظم التى تشكل البناء الاجتماعى

وقبل الحديث عن مشكلات كتابه التقرير ، نشير الى ان معظم الانثروبولوجيين ظلوا يعتبرون أن المذكرات الميدانيه والماده التى يجمعونها من الميدان مصدر خاص للمعلومات بالنسبه لكل باحث فرد ،بمعنى أن المادة الخام التى يجمعها الانثروبولوجي، لاينبغى ان يحاول انثروبولوجى اخر الاستفاده منها وفى هذا الصدد يمكن ان يمزق الواحد منهم مذكراته الميدانيه وملاحظاته الانثروبولوجيه بعد تحليلها وكتابه التقرير النهائى ونشره على حين نجد فريقا أخر ينظر اليها كماده خام تفقد قيمتها بمجرد تحليلها .

والواقع ان هذين الاتجاهين خاطئان الى حد كبير، كما انهما قطعا لايساعدان على تراكم التراث الانثروبولوجي ،والدراسات المونوجرافيه على مجتمعات متنوعه علاه وعلى انهما لايسمحان بتوافر ماده خام يمكن الاستعانه بها مره أخرى وعلى ايدى باحثيين أنثروبولوجيين اخرين او الباحث الاصلى صاحبها نفسه – فى دراسات حول ظواهر جديده أو نظم أجتماعيه اخرى وهكذا ينبغى ان تخضع تلك الماده الخام بعد كتابتها وتحليلها ونشرها – للحفظ فى ارشيفات خاصه ، وتصبح بمقتضى هذا الحفظ ماده متاحه امام جميع الباحثيين الذين يدرسون نفس الموضوع او غيره من الموضوعات ، او الذين يجرون دراسه على مجتمعات أخرى ويستخدمونهها للمقارنه أضف الى ذلك أن حفظ الماده الانثروجرافيه يمكننا من الوقوف على معدلات التغير الاجتماعى والثقافى الذى طرأ على تلك المحتمعات المدروسه ،كما يساعدنا على التنبؤ بالمسار الذى يتخده هذا التغير فى المتقبل ومن هذا وذاك يتضح أن حفظ الماده أمر ينبغى الاخذ به ومراعاته ،حرصا على علم الانثروبولوجيا ذاته ،واثراء له

اما عن المشكلات الى تواجه الانثروبولوجي الاجتماعى عندما يريد كتابه تقرير عن نتائج دراسته الحقيقيه فهى مشكلات عديده ومتنوعه فالمدرسه الحقليه الحديثه تنادى باستيعاب كل نواحى ومظاهر الحياه الاجتماعيه فى مجتمع البحث فهل يعنى ذلك ضرورهتقرير كامل يستوفى كل الملاحظات التى جمعها الباحث عن تلك المظاهر المختلفه ؟يجيب ايفانز بريتشارد على هذا السؤال بقوله بأن المؤرخلاتعترضه نفس المشكله أو الصعوبه لانه يستطيع ان يتخير من المعلومات المتاحه أمامه ما يتعلق مباشره بموضوعبحثه ويغفل ما عداها دون أن يخشى عليها من الضياع والاندثار اما الانثروبولوجي فان ما يغفل عن تسجيله قد يتعرض للضياع وكثيرا ما يضيع الى الابد كما أنه لابؤؤل النصوص والمصادر الموجوده بالفعل ،ويقابل بعضها ببعض ،بل انه يخلق هذة المصادر ذاتها خلقا

وفى هذا الصدد يرى كثير من العلماء أن ينشر الباحث الانثروبولوجي كل الوقائع والمعلومات وتقييمها التى جمعها سواء تتفق مع أهدافه واغراضه من البحث او لاتتلائم معها وواجبه أذن هو التسجيل والتدوين دون الحكم على الوقائع والمعلومات وتقييمها لما فى ذلك من تسرع فى الحكم على الووقائع والمعلومات وتقييمها لما فى ذلك من تسرع فى الحكم على ميول الاجيال المقبله ونظرتها للامور ويحاول العلماء الان

التغلب على هذة الصعوبه بنشر عدد من الدراسات عن بعض الظواهر الهامه ،يستخدم فيها الانثروبولوجى كل الحقائق المتصله بها لتوضيحها أما بقيه المعلومات المدونه والملاحظات فانه ينشرها فى المجلات العلميه .

الفصل السادس

الاتجاهات النظرية فى الانثروبولوجيا الثقافية

مقدمة

احتوى الفكر الأنثروبولوجى على كثير من النظريات التى سادت وتبلورت خلال السنوات الأخيرة من ق١٩ واستمر التأثر بها حتى بدايات ق٢٠، وهى منطلقات نظرية وفكرية ومنهجية فى دراسة الإنسان وثقافته. ومن هذه النظريات

١. النظرية التطورية

٢. النظرية الانتشارية

٣. النظرية الوظيفية

أولا : الاتجاه التطورى

المدرسة التطورية: وهي أقدم وأول المدارس الأنثروبولوجية، يغلب على روادها الطابع النظري الذي لا يرافقه البحث الميداني المطلوب في العمل الأنثروبولوجي

لقد شغل بال المفكرين عامة، ومن بينهم الاجتماعيون وعلماء الأنثروبولوجيا بصفة خاصة، سؤالاً معيناً هو كيف نشأت ثقافات العالم وتطورت؟ وبالرغم من سيادة الفكر التطوري فى إطار نشأة المجتمعات وتطورها (أي الثقافات) الإنسانية فى خط واحد .

"وقد سيطرت فكرة التطور الثقافى على فكر الأنثروبولوجى وكان رواد ذلك الاتجاه الفكرى يعتبرون المجتمعات البدائية انما تمثل مرحلة نموذجية للأوضاع الانسانية السابقة ، كما تعتبر هذه المجتمعات فى ثقافتها ونظمها الاجتماعية بالنسبة للباحث الأنثروبولوجى تمثل المراحل الأولى لنشأة الثقافات .

٧

أما المدرسة التطورية ذاتها، فقد ساهم في تكونها مجموعة كبيرة من الباحثين الذين نشروا الكتب الإثنولوجية تباعاً في كل من فرنسا وألمانيا وإنجلترا وأميركا، منها كتاب الإنجليزي إدوارد تايلور (الثقافة البدائية) عام ١٨٧١، ثم كتاب (المجتمع القديم) للأميركي لويس مورجان سنة ١٨٧٧، والكتاب الشهير (الغصن الذهبي) للإنجليزي جيمس فريزر الذي ظهر جزءه الأول في العام ١٨٩٠.

لقد رأى أنصار الاتجاه التطوري فى التقدم ثمرة التكامل فى الأدوات المادية وثمرة التعقيد فى العلاقات خلال مراحل تطورية معقدة . يتضح هذا التقدم من خلال الانتقال من المرحلة الحيوانية إلى المرحلة البدائية ومن هذه إلى البربرية فالتمدن.

- <u>الاتجاه التطورى عند تايلور</u>

التـــى اســـتندت علـــى فكـــره التقـــدم الاطـــرادى للشـــعوب والثقافـــات ،وانتفقالهـــا مـــن حالـــه الهمجيـــه او البدئـــه التـــى راهـــا متمثلـــه فـــى المجتمعـات غيـر الغربيـه حينـذاك- الـى حالـه التحضـر والمدنيـه التـى يمثلهـا المجتمـع الاوربـى ،واسـتخدام تيلـور مفهـوم الرواسـب كمفهـوم مسـتمد مـن الدراسـات الاثريـه ليكتشـف بهـا عـن الرواسـب الثقافيـه عنـد الشـعوب ومـن الواضـح ان تيلـور عنـدما صـاغ نظريتـه حـو تطـور الثقافـه فـى المجتمعـات الانسـانيه بهـذا الشـكل يمثـل امتـداد لجـذور الفكـر الاجتمـاعى الـذى ظـل سـائداخلال القـرن الثـامن عشـر ، والذى كان يبدوكسمه عامه ميزت عصر التنوير

- الاتجاه التطورى فى فكر لويس مورجان

ثـم انتقلـت التطوريـه الثقافيـه مـن تـايلور الـى لـويس مورجـان حيـث قـدم نظريتـه عـن تطـور الثقافـات الانسـانيه فـى مؤلفـه الشـهير المجتمـع القـديم عـام ١٨٧٧ وذلـك مـن خـلال السلاسـل التطوريـه او مـا أسـماه المراحـل الثلاث التى تمر بها البشريه

كـــان اهتمـــام مورجـــان بـــنظم القرابـــة والـــنظم الاجتماعيـــة والسياســـية كبيـــراً ممـــا دفعـــه للقيـــام بـــرحلات واســـعة جهـــات مختلفـــة مـــن العـــالم مستفســـراً عـــن أنظمـــة القرابـــة والتنظيمـــات الاجتماعيـــة لـــدى الشـــعوب البدائيـــة، كمـــا أطلـــع علـــى كتـــاب هنـــري مـــين "القـــانون القـــديم" ، و

أوضح مورجان أنَّ العشيرة هي الشكل السائد من أشكال التنظيم الاجتماعي لدى جميع الشعوب التي تجاوزت مرحلة التوحش. وميز مورجان شكلين من أشكال العشيرة، العشيرة التي تنتسب إلى الأم والعشيرة التي تنتسب إلى الأب، ونادى بالأسبقية التاريخية والمنطقية لأنظمة قرابة الأم على أنظمة قرابة الأب .وقد شكلت العشيرة، على حد تعبير مورجان، قاعدة النظام الاجتماعي لغالبية الشعوب البربرية.

حاول مورجان إعادة تركيب صورة المجتمعات الإنسانية وتصنيفها بغية التعرف على تاريخ المجتمع الأوروبي والمراحل التي مرَّ بها وصولاً إلى ما هو عليه في عصره . هكذا يرى مورجان أن الثقافة الإنسانية انتهجت في تطورها مساراً أُحادياً،

يرى لويس مورجان ان الثقافات مرت فى كافه المجتمعات بمراحل متعدده وهى : حيث افترض مورجان أن جميع المجتمعات الإنسانية تخضع في تطورها لقانون واحد طالما أن تاريخ الجنس البشري واحد

١- مرحلة التوحش الدنيا : ففى هذة المرحله كانت حياه الانسان لا تختلف كثيرا عن الحيوانات من حيث درجه التقدم اى انها كانت شديده البدائيه ، ثم انتثلت بعد هذه المرحله الى مرحله تاليه لها

وارقى منها فى سلم التقدم اطلق عليه مورجان مرحله التوحش الوسطى العليا . وكانت ارقى نسبيا من مرحله التوحش الدنيا

٢- مرحلة التوحش الوسطى : مرحلة تقدم فيها الإنسان قليلاً عما كان عليه في المرحلة السابقة باهتدائه إلى اكتشاف النار واستخدامها في طهي الطعام وإضاءة الكهوف.

٣- مرحلة التوحش العليا : اكتشف فيها الإنسان القوس والسهم مما ساعده على تغيير غذائه ، أصبح الإنسان في هذه المرحلة صائداً للحيوانات يعتمد على لحومها، أي أن الإنسان بدأ في هذه المرحلة في تحقيق الانتقال من جامع للطعام وملتقط له إلى منتج لطعامه. ويفترض مورجان ارتباط هذا التقدم في الاقتصاد بتقدم مماثل في شكل التنظيم الاجتماعي والديني.

٤- <u>مرحلة البربريه :</u>

وقسمها مورجان الى ثلاث مراحل من حيث التقدم وهى الدنيا والوسطى والعليا ، ففى هذى المرحله شهدت البشريه تقدم يفوق مرحله التوحش الدنيا بدرجاتها المختلفه

[1] انظر الاستاذ على المكاوى :دراسات فى الانثروبولوجيا الثقافية .

١- مرحلة البربرية الدنيا : تتميز بوصول الإنسان إلى إبداعات جديدة أهمها صناعة الفخار، وبخروج الإنسان من عزلته الضيقة وانتشاره في مناطق أكثر اتساعا.

٢- مرحلة البربرية الوسطى: تمكن فيها الإنسان إلى صهر المعادن وصناعة الأدوات والآلات المعدنية، وبداية اكتشاف الكتابة الصورية.

٥- مرحله التحضر :

ويرى مورجان أنه وبعد اجتياز تلك المراحل توصل الإنسان إلى مرحلة المدنية التي تتميز باختراع الحروف الهجائية والكتابة وفى هذة المرحله شهدت الثقافات التى مرت بها أو أنتقلت اليها العديد من الاختراعات والاكتشافات

ويؤكدلويس مروجان أن هذة المرحله تكاد تكون حتميه فى تسلسلها ، وتمر بها كافه الثقافات ، وحاول ادخال بعض المعايير والمقاييس الماديه التى استند على اساسها ذلك التصنيف ، وقد بنى مورجان افتراضاته على اساس ما توصل اليه من دراسات فى قبائل (الايروكوا) حيث أكتشف أن الاسماء التى يستخدمونها للدلاله على علاقه القرابه مثل الاب أو الاخ او غير ذلك تطلق على مجموعه من الناس عما يحدث

بالمجتمع الانجليزى الذى ينتمى اليه مورجان ، وقد أدهشه ما رأه من شيوع لهذة الظاهره بين بعض القبائل الهنديه برغم أختلاف لغتهم وثقافتهم عن الايروكوا ، وقد أثاره ذلك واخذ يجمع قوائم عن مصطلحات النسب والقرابه ، ونشر بحثا فى هذا الموضوع بعنوان (انساق روابط الدم والمصاهره) عرض فيه نظريته عن تطور نظم القرابه مفترضا فيها أن ذلك الاختلاط فى استخدام مفاهيم القرابه انما تعكس مرحله تاريخيه سادت فيها علاقات اجتماعيه غير محددة ، كمرحله من مراحل التطور التى مرت بها البشريه

<u>خلاصة الفكر التطوري :</u>

إن آراء التطوريه تتلخص فى أن تاريخ الإنسانية وتاريخ الثقافة يمثل خطاً متصاعداً من العادات والتقاليد والعقائد والتنظيمات والأدوات والآلات والأفكار وأنَّ البشرية مرت بمراحل ثقافية تتدرج من الأشكال غير المعقدة إلى الأشكال المعقدة فالأكثر تعقيداً. (ان العناصر المركبة فى الحضارة تتطور من البسيطة والمتنافرة الى المركبة) وأن هذا الخط المتصاعد من الأسفل إلى الأعلى متشابه في أجزاء العالم ، وهو ما جعل التطوريين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر شغلتهم فكرة تطور الثقافة والمجتمع الإنساني عبر مراحل التبدل من حالة إلى حالة، أكثر مما شغلتهم فكرة اكتشاف

القوانين الأساسية التى تحكم عملية تطور الثقافة. وعلى الرغم من أن كثيرا من محاولتهم لتحليل البيانات قد خضعت لانتقادات حادة، ويمككن القول بأن المفكرين التطوريين قد وضعوا الاساس الاول لعلم الانثروبولوجيا الثقافيه

ثانياً : الاتجاه الانتشارى فى تفسير الثقافه :

ظهر الاتجاه الانتشارى كمحاوله لتفسير عمليات التغيير الثقافى للمجتمعات الانسانيه وكرد فعل للاتجاه التطورى:

افترض رواد هذا الاتجاه ان هناك مركزا حضاريا محددا أنتقلت منه السمات الثقافيه الى باقى اجزاء العالم ، وذلك من خلال مجموعه من العمليات كالاحتكاك الثقافى والذى يتم عن طريق التجاره أو الغزوات أو الهجره ، ثم أتسعت دائره هذة السمات لتنتشر من المركز الى الاجزاء المحيطه والتى يسببها ذلك الاتصال .

تنطلق النظرية الانتشارية من أن التغير الثقافي يرجع الى عامل الانتشار ، فالانتشار عملية تنتشر بموجبها سمات ثقافية من منطقة الى أخرى، والى أن تعم تلك السمات أنحاء العالم ، أي أن التغيرات الثقافية ترجع في مصدرها الى ثقافة أخرى .

انطلاقاً من ذلك تبني النظرية أفكارها على عامل الانتشار وهو كل الحالات لا يعني انتقال الأفراد وإنما انتقال السمات الثقافية. وقد جاء مصطلح الانتشار الثقافي في كتابات علماء الأنثروبولوجيا حيث ذهب تايلور في كتابة (الثقافة البدائية) الى أن فكرة الانتشار الثقافي جاءت لتكشف عن سر التشابه لكثير من السمات والعناصر الثقافية في مجتمعات متباعدة عن بعضها مرجعا ذلك التشابه الى انتشار وانتقالها من مصدر واحد أو من عدد المصادر نتيجة للاتصال الثقافي بين تلك المجتمعات وقد تكون هجرة العنصر الثقافي كاملة أو جزئية.

وتعتمد عملية الانتشار على عامل الاختراع الذي يعتبر أصل الثقافة الجديدة ويؤدي في النهاية الى استمرارية بناء الثقافة وحفظها من الفناء وأما آليات الانتشار فهي متعددة منها : الهجرة والاستعمار والثورة وغيرها ولا تخلو عملية الانتشار من وجود عوائق الأمر الذي يؤدي الى مقاومة الثقافة المستعمرة وإبطاء عملية التغير عموما ، ويبدو ذلك بوضوح حينما تترسخ عناصر ثقافية في مجتمع فانه في هذه الحالة يصعب إحلال عناصر جديدة لتأخذ مكانا في النسق القائم .

وفي كل الحالات يمكن ملاحظة العناصر المعوقة للانتشار، وهي تركز على انتقال الثقافة سواء عن طريق النقل أم الغزو أم

الاستعارة متتبعة انتقال العناصر الثقافية عبر المكان وترى ان الهجرة تؤدي الى انتقال وحدات ثقافية كبيرة، وأما الاستعارة فتؤدي الى انتقال وحدات ثقافية بسيطة لا تحدث في البداية تغيرا يذكر في المجتمع الجديد .

واستمرت الانتقادات التى وجهها رواد الانتشاريه الى فكره التطور الخطى

والجدير بالذكر أن النظريه الانتشاريه تعتمد على جهود ثلاث مدارس ساهمت فى ارساء الفكر الانتشارى المدرسه الاولى هى المدرسه

المدرسة البريطانية التى تزعمها اليوث سميثE. SMITH وترى أن مصر هى الاصل الذى ظهرت منه الحضاره ومنها أنتشرت الى كل أنحاء العالم

أما المدرسه الثانيه فهى المدرسه الالمانية التاريخيه الثقافيه الالمانيه النمساويه التى يتزعمها وجرايبنر GRAEBENER

وهناك ثلاث وجهات أساسية عبرت عن تلك المدرسة ، وانطلاقاً من هذا الاتّجاه، ظهرت في أوروبا نظريتان مختلفتان حول التفسير الانتشاري لعناصر الثقافة.

١- النظرية الأولى(المركزي الواحد للثقافة / الحضارة) "المدرسة الإنجليزية ":. سادت هذه النظرية في إنجلترا، وأرجعت نشأة الحضارة الإنسانية كلّها إلى مصدر واحد، ومنه انتشرت إلى المجتمعات الإنسانية الأخرى.

فهى تنادى بمصدر واحد للثقافة وهي الحضارة المصرية التي عمت العالم الى ان جاءت الحضارة اليونانية وحلت مكانها وتأسست في بريطانيا على يد عالم التشريح البريطاني اليوت سميث الذى كان مهتماً بالآثار والهياكل البشرية. وكان إليوت سميث / وتلميذه / وليم بيري: اليوت سيمث عالم التشريح البريطانى الذي انكب خلال إحدى فترات حياته على دراسة المومياء المصرية، وهذا قاده إلى الإقامة في مصر حيث أدهشته حضارتها، فأخذ يلاحظ أن الثقافة المصرية القديمة تضم عناصر كثيرة يبدو أن لها ما يوازيها في ثقافات بقاع أخرى من العالم

اعتقدا إليوت سميث وليم بيري بأن الثقافة الإنسانية نشأت على ضفاف النيل وازدهرت في مصر القديمة منذ حوالي خمسة ألف سنة قبل الميلاد تقريباً.. وعندما توافرت الظروف وبدأت الاتصالات بين الجماعات والشعوب انتقلت بعض مظاهر تلك الثقافة المصرية القديمة إلى بقية العالم و بذلك يجعل سميث من الاقتباس الوسيلة الوحيدة تقريباً التي يمكن من خلالها أن تتم

عملية التغير الثقافي، وهذا يعني أن مقدرة الإنسان على الاختراع معدومة تقريباً، .

٢- المدرسة الألمانية : وكان من دعاة هذه النظرية ، فريق من العلماء الألمان والنمساويين ، وفي طليعتهم وجرايبنز GRAEBENER : هي النظرية الانتشارية التي تعتمد الأصل الثقافي / الحضاري، المتعدّد المراكز.

لقد رفض هذا الفريق فكرة المنشأ(المركز) الواحد للحضارة الإنسانية، لأنّ هذه الفكرة ضرب من الخيال أكثر من قربها إلى الأساس العلمي. وافترضوا وجود مراكز حضارية أساسية وعديدة ، في أماكن متفرقة في العالم. ونشأ من التقاء هذه الحضارات، بعضها مع بعض، دوائر ثقافية تفاعلت ببعض عمليات الانصهار والتشكيلات المختلفة .

٣- المدرسة الأمريكية: بزعامة (اللفرد كروبير، فرانز بواس) وهي تهتم بالآثار المترتبة على عملية الانتشار الثقافي في المجتمعات.

لم يقتصر التفسير الانتشاري على أوروبا فحسب، وإنّما امتدّ أيضاً إلى أمريكا حيث ظهرت حركة مماثلة لآراء / سميث وشميدت / من حيث نقد التفسير التطوّري للثقافة، والاتّفاق على

فكـرة انتشـار العناصـر الثقافيـة بطريـق الاسـتعارة والتقليـد، كأسـاس لتفسير التباين الثقافي / الحضاري بين الشعوب

وكـان الأمريكـي / فرانـز بـواز / الرائـد الأوّل لهـذا الاتّجـاه التـاريخي / قـد عـارض الفكـرة القائلـة بوجـود طبيعـة واحـدة وثابتـة للتطـوّر الثقـافي. ورأى أنّ أية ثقافة من الثقافات، ليست إلاّ حصيلة نمو تاريخي معيّن.

واسـتخدم بـواس مصـطلح المنـاطق الثقافيـه مشـيرا بـذلك الـى مجموعـه مـن المنـاطق الجغرافيـه التـى تتصـف كـل منهـا بـنمط ثقـافى معين بغض النظـر عـن احتـواء هـذا المنـاطق لعديـد مـن الشـعوب ، كمـا اجـرى العديـد مـن البحـوث الميدانيـه ليختبـر مـن خلالهـا فروضـه النظريـه فـى الواقـع – وذلـك مـن خـلال دراسـته علـى بعـض المنـاطق التـى يقطنهـا الهنـود الحمـر ويرجـع الفضـل الـى المدرسـه الانتشـاريه فـى طـرح فكـره تعـدد وتنـوع الثقافـات وفكـره النسـبيه الثقافيـه والتـى اصـبحت مـن الافكار الاساسيه فى الانثروبولوجيا الثقافيه فيما بعد .

يتوجـب علـى الباحـث الأنثروبولـوجي أن يوجّـه اهتمامـه نحـو دراسـة تـاريخ العناصـر المكوّنـة لكـلّ ثقافـة علـى حـدة، قبـل الوصـول إلـى تعميمـات بشـأن الثقافـة الإنسـانية بكاملهـا. وقـد أصـرّ/ بـواز/ علـى أنّـه لكـي تصـبح الأنثربولوجيـا علمـاً، فـلا بـدّ أن تعتمـد فـي تكـوين نظرياتهـا علـى

المشاهدات والحقائق الملموسة، وليس على التخمينات أو الفرضيات الحدسيّة .

ومن هذا المنطلق، استخدم /بواز / مصطلح (المناطق الثقافية) للإشارة إلى مجموعة من المناطق الجغرافية ذات النمط الثقافي الواحد، وقد طبّق / بواز / هذا المفهوم على ثقافات قبائل الهنود الحمر في أمريكا، واستطاع تحديد – تمييز – سبع مناطق ثقافية رئيسة، يندرج تحتها هذا العدد الهائل من قبائل الهنود الحمر، والذي كان يزيد عن (٥٠) قبيلة. فقد اكتشف / بواز / أنّ ثمّة عدداً من السمات الثقافية المشتركة بين جماعات الهنود الحمر، التي تعيش في السهول الساحلية لأمريكا الشمالية .فعلى الرغم من أنّ لكلّ منها استقلاليتها الخاصة واسمها ولغتها وثقافتها، إلاّ أنّ سكانها جميعهم يصطادون الجاموس للغذاء، ويبنون المساكن على أعمدة يغطونها بالجلود التي يستخدمونها أيضاً في صنع الملابس.

وهكذا جاء مفهوم (مصطلح) المنطقة الثقافية، كتصنيف وصفي وتحليلي للثقافات، الأمر الذي يسهل المقارنة بين الثقافات، ومن ثمّ الوصول إلى تعميمات بشأن الثقافة الإنسانية كلّها ، ونتج عن هذا الاتّجاه الانتشاري بوجه عام، أن بدأ الأنثروبولوجيون ينظرون إلى أنّ للثقافات الإنسانية كيانات مستقلّة من حيث المنشأ والتطوّر والملامح الرئيسة التي تميّز بعضها من بعض. وهذا ما عزّز فكرة تعدّد الثقافات وتنوّعها، وطرح مفهوم النسبية

الثقافية التي أصبحت من أهمّ المفهومات الأساسيّة في الفكر الأنثربولوجي وتطوّره، كعلم خاص من العلوم الإنسانية له منطلقاته وأهدافه، توجب دراسته من خلالها.

الخلاصة

يتبين من كل ما سبق أن النظرية الانتشارية تؤكد على الانتشار الثقافي بوصفه عاملاً للتغير الاجتماعي، وأدت الى الاهتمام من جديد بتاريخ الثقافة ، ودراسة الروابط الثقافية بين المجتمعات.

إلا إن هذه النظرية رغم أهميتها العلمية إلا أنها لا تخلو من ثغرات وهى :

١- ان التركيز على العامل الخارجي في عملية التغير الاجتماعي ينفي العوامل الداخلية التي تؤدي الى التغير، وإلغاء لفاعلية المجتمع وآليات التغير فيه، ويحرم المجتمع من الابتكار والاكتشاف.

٢- لم يفسر الانتشاريون كيف ولماذا تنتشر السمات الثقافية من مجتمع دون آخر والى مجتمع دون آخر ؟

ثالثا: الاتجاه الوظيفى

نشأ هذا الاتّجاه مع ظهور اتّجاه الانتشار الثقافي، كردّ فعل على النظرية التطوّرية. وقد تميّز هذا الاتّجاه ، بأنّه ليس تطوّرياً وليس

تاريخياً، حيث ركّز على دراسة الثقافات الإنسانية كلّ على حدة، في واقعها الحالي

وهذا ما جعله يختلف عن الدراسات التاريخيّة، لأنّه اعتمد العلم في دراسة الثقافات الإنسانية كظاهرة، يجب البحث في عناصرها والكشف عن العلاقات القائمة فيما بينها، ومن ثمّ العلاقات القائمة فيما بينها وبين الظواهر الأخرى

ويعد الاتجاه الوظيفي من الاتجاهات النظرية الأساسية فى علم الإنسان وفى علم الاجتماع. أخذ هذا الاتجاه فى التبلور منهجاً نظرياً لدراسة الثقافات الإنسانية فى الوقت الذى نشأ فيه الاتجاه الإنتشارى فى كل من أوروبا وأمريكا كرد فعل على منطلقات الاتجاه التطوري . إلا أن فكرة الوظيفة قديمة وجدت تعبيراً لها فى أعمال الفلاسفة والمفكرين فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

حيث ينظر الاتجاه البنائي التكاملي إلى المجتمع باعتباره نسقا يتألف من أشخاص يحتلون مراكز محددة في البناء الاجتماعي. ويرتبطون فيما بينهم بعلاقات تحكمها معايير وجزاءات محددة. أما العلاقة الاجتماعية فهي حجر الأساس في البناء الاجتماعي وهي مفهوم يدل

على أية صلة أو تفاعل بين فردين أو جماعتين فأكثر. وسواء أكانت صلة مباشرة أو غير مباشرة تعاونية أو غير تعاونية

إن فكرة البناء الوظيفي في النظرية الانثروبولوجيه تستند على مبدأ التساند بين المراكز والأدوار من خلال مفهومي البناء والوظيفة، فلكل مركز اجتماعي دوره أو وظيفته. والنسق البنائي نسق يربط بين المراكز التي يحتلها الأشخاص في المجتمع بينما يربط النسق الوظيفي بين الأدوار التي يلعبها هؤلاء الأشخاص في النشاطات الاجتماعية المتنوعة.

(برونسلو مالينوفسكي و راد كليف براون)

اقترن الاتجاه الوظيفي بصورة أساسية بالأنثروبولوجيا الاجتماعية بأفكار العالمين البريطانيين، (برونسلو مالينوفسكي و راد كليف براون)، اللذين عاشا في أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. ويدينان باتّجاهاتهما النظرية، إلى أفكار عالم الاجتماع / إميل دوركهايم / الذي ركّز اهتمامه على الطريقة التي تعمل بها المجتمعات الإنسانية ووظائف نظمها الاجتماعية، وليس على تاريخ تطوّر هذه المجتمعات والسمات العامة لثقافاتها.

وقد دعا / مالينوفسكي / إلى دراسة وظيفة كلّ عنصر ثقافي، عن طريق إعادة تكوين تاريخ نشأته أو انتشاره، وفي إطار علاقته مع

العناصر الأخرى. وهذا يقتضي دراسة الثقافات الإنسانية كلّ على حدة، وكما هي في وضعها الراهن، وليس كما كانت أو كيف تغيّرت . وبذلك يكون / مالينوفسكي / قد قدّم مفهوم(الوظيفة) كأداة منهجيّة تمكّن الباحث الأنثروبولوجي من إجراء ملاحظاته بطريقة مركّزة ومتكاملة في أثناء وصفه للثقافة البدائية.

أمّا / براون / فقد قام من جهته، بدور رئيس في تدعيم أسس الاتّجاه البنائي / الوظيفي، في الدراسات الأنثروبولوجية، وذلك مع بداية القرن العشرين، موجّهاً الأثنولوجيا نحو الدراسات المتزامنة، وليس نحو التفسير البيولوجي للثقافة كما فعل (مالينوفسكي) . اعتمد / براون في دراسة المجتمع وتفسير الظواهر الاجتماعية تفسيراً اجتماعياً، بنائياً ووظيفياً، على فكرة الوظيفية التي نادى بها (دوركايم) والتي تقوم على دراسة المجتمعات الإنسانية، من خلال المطابقة (المماثلة بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية)، كما هي الحال في المشابهة بين البناء الجسمي المتكامل عند الإنسان، والبناء الاجتماعي المتكامل في المجتمعات الإنسانية .

ويوضح / براون / طبيعة هذا (البناء الاجتماعي) بأنّه يندرج تحت هذا المفهوم، العلاقات الاجتماعية كلّها، والتي تقوم بين شخص وآخر. كما يدخل في ذلك التمايز القائم بين الأفراد والطبقات، بحسب أدوارهم

الاجتماعية، والعلاقات التي تنظّم هذه الأدوار. وكما يستمرّ تجدّد بناء الكائن العضوي طوال حياته، فكذلك تتجدّد الحياة الاجتماعية مع استمرارية البناء الاجتماعي في علاقاته وتماسكه [٨]

وإذا كان / مالينوفسكي / أخذ بفكرة النظم الاجتماعية لتأمين الحاجات البيولوجية والنفسية للأفراد، بينما اتّجه / براون / نحو مسألة تماسك النظام الاجتماعي، من حيث مكوّناته وعلاقاته، فأنّهما رفضا معاً فكرة تجزئة العناصر الثقافية (مكوّنات البناء الاجتماعي) إلى وحدات صغيرة يقوم الباحث بدراسة منشئها أو انتشارها وتطوّرها ..

واعتمدا بدلاً من ذلك على الدراسات الميدانية، لوصف الثقافات بوضعها الراهن. وقد وجد هذا الاتّجاه قبولاً واسعاً لدى المهتمّين بدراسة الثقافات الإنسانية في النصف الأوّل من القرن العشرين، ولا سيّما بين الأنثربولوجيين الأوروبيين.

كذلك اقترنت الوظيفية بالاتجاه العضوي فى العلوم الطبيعية عرف الاتجاه الوظيفي فى الأنثربولوجيا الاجتماعية بتركيزه على دراسة الثقافات الإنسانية كل على حدة وفق واقعها المكاني والزماني . وقد تجلى الاتجاه الذى صار يعرف باسم المماثلة العضوية بداية فى أعمال الفلاسفة من أمثال (آدم سميث وديفيد هيوم) وغيرهما

مـن الـذين رأوا فـى المجتمـع نسـقاً طبيعيـاً ينشـأ مـن الطبيعـة البشرية.

الخلاصة :

أن الوظيفيـة هـي النظريـة التـي تقـوم بوجـوب دراسـة الظـواهر (الثقافيـة) مـن حيـث الوظيفـة التـي تؤديهـا : إن جـوهر الوظيفيـة كمـا أراه – هـو النظـر إلـى أيـة ظـاهرة أولاً علـى أسـاس ارتباطاتهـا ذات الأهميـة داخـل سـياق معـين أو كـل بنـائي، تسـتمد المدرسـة الوظيفيـة البنائيـة أسسـها مـن آراء هربـرت سبنسـر واميـل دوركـايم وفكـر المـنهج الـوظيفي الـذي يفسـر الـنظم الاجتماعيـة والثقافيـة والعلاقـات والسـلوك فـي ضـوء الوظـائف التـي تؤديها في الأنساق الاجتماعية والثقافية.

هـذه الاتّجاهـات بأفكارهـا وتطبيقاتهـا، مثّلـت مرحلـة انتقاليـة بـين الأنثروبولوجيـا الكلاسـيكية التـي كانـت تعتمـد علـى التخمينـات والتفسـيرات النظريـة فحسـب، وبـين الأنثروبولوجيـا الحديثـة التـي بـدأت مـع النصـف الثـاني مـن القـرن العشـرين معتمـدة علـى الدراسـات الميدانيـة / التحليليـة، والتـي تعنـى بالجوانـب الاجتماعيـة الثقافيـة المكوّنـة للفكـر الأنثروبولـوجي. وهـذا مـا أدّى بالتـالي إلـى ظهـور التخصّـص فـي علـم الأنثروبولوجيـا، ممّـا ساعد في إرساء المبادىء الأساسيّة للأنثروبولوجيا المعاصرة .

المراجع

١. شارلوت سيمث : موسوعة علم الإنسان المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع ، مراجعة محمد الجوهري،المركز القومي للترجمة ، القاهرة ،٢٠٠٩.

٢. معجم مصطلحات الأنثروبولوجيا : جمهورية مصر العربية مجمع اللغه العربية ، القاهرة ، ٢٠١٣،

٣. عاطف وصفى: الانثروبوجيا الثقافية ، بيروت ، دار النهضة العربية .

٤. على المكاوي ، فوزي عبد الرحمن : دراسات فى الأنثروبولوجيا الثقافية، مؤسسة الأهرام، القاهرة،٢٠٠٧ .

٥. على المكاوى : الانثروبولوجيا الاجتماعية ودراسة التغير والبناء الاجتماعى ، جامعة القاهرة

٦. علي المكاوي : السياق الاجتماع للمعتقد الشعبي ، فى الكتاب السنوي لعلم الاجتماع ، إشراف محمد الجوهري ، العدد الثالث ، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٨٢.

٧. عيسى الشماس : مدخل إلى علم الإنسان الأنثروبولوجيا ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ٢٠٠٤.

٨. عدنان أبو مصلح : معجم علم الاجتماع، دار المشرق الثقافي ، عمان – الأردن،٢٠٠٦.

٩. عاصم الدسوقي : ثقافة المصريين وتحولاتها عبر التاريخ وجدل الهوية ، المؤتمر السنوي الثاني عشر، الشخصية المصرية فى عالم متغير ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ٢٣– ٢٥ مايو ٢٠١٠ . ,المجلد ١

١٠. فاروق أحمد مصطفى ومحمد عباس ابراهيم : الأنثروبولوجيا الثقافية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠١٠

١١. فاروق محمد العادلى و عاطف أمين : مبادئ الأنثروبولوجيا مدخل اجتماعى ثقافى ، ٢٠٠٦.

١٢. محمد الجوهرى : المفاهيم الاساسية فى الأنثروبولوجيا : مدخل لعلم الانسان ، دار المسيرة للطباعة والنشر، القاهرة ، ٢٠٠٨.

١٣. _____ : الأنثروبولوجيا : أسس نظرية وتطبيقات عملية ، دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية، ١٩٩٩.

١٤. محمد الجوهري و سعاد عثمان : دراسات فى الأنثروبولوجيا الحضرية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية، .١٩٩١

١٥. محمد الجوهري ، عليـاء شـكري : مقدمة فـى دراسة الأنثروبولوجيا ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٧.

١٦. محمد الجوهرى وعليـاء شـكرى وآخـرون: الأنثروبولوجيا الاجتماعية قضايا الموضوع والمنهج ، القاهرة ، مكتبة دار النصر ،٢٠٠٣.

١٧. محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩، ص ١١٠.

١٨. محمد عباس ابراهيم : مدخل الى علم الانسان ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٤.

١٩. محمد عباس إبراهيم : الثقافات الفرعية : دراسة أنثروبولوجية للجماعات النوبية بمدينة الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية،١٩٨٥.

٢٠. مرسي الصباغ: دراسات في الثقافة الشعبية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٠.

٢١. محمد الجوهرى وآخرون مقدمة فى الأنثروبولوجيا العامة ، ج٢ ، تأليف رالف بيلز ، هارى هويجر ، دار نهضة مصر للطبع والنشر .

٢٢. محمد عباس ابراهيم : الانثروبولوجيا بحوث ودراسات تطبيقية ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٣.

١. عبد الباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعي ، مكتبة وهبة ، القاهرة.

٢. William Karrabul: Sociology in a changing world, Harcourt Brocaded College Publishers, 1994, p: 45.

٣. Diana Kendall: Sociology in Our Times , Thomson Wadsworth,United States,2004,P 60.

4. Adam Kuper, Jessica Kuper, The Social Science Encyclopedia, 2 Ed Rout ledge, New York, 2003.

5. Amos Rapoport from Wikipedia, the free encyclopedia http//www. encyclopedia.org/ eg

Encyclopedia of Ecology,Online version :F. Steiner , 2008

6. H. J. Birx: Anthropology of Habitat and Architecture, "http://openanthcoop.ning.com.

7. James M.Henslin: Essentials of Sociology Adown to Earth Approach, Allyn and Bacon, London, 1996.

Thomson,L.is Applied Anthropology Helping to Develop aScience of Man,Human Organization ,vol 24 Winter

Geiser,P,The Egytian,AStudy in Social Symbiosis,The American,University in Cairo Press..

Tylor ,Edward;Anthropoloy.study of man and civilization ,London.

Joel M.Charon: The Meaning of Sociology, 6ed, Prentice Hall, Upper Saddle River, New Jersey, 1999.

John P. Dean; Housing Design and Family Values, University of Wisconsin Press, Land Economics, Vol. 29, No. 2 (May, 2011),

.